رثاء الزوجة
بين
عزيز أباظة ومحمد رجب البيومى
دراسة وموازنة

أ.د/ عمر عبد العزيز الحسينى
الأستاذ المساعد فى قسم الأدب والنقد
جامعة الأزهر

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين..... والصلاة والسلام على رسول الله وعلى وآله وأصحابه

وبعد.....

فموضوع الرثاء من الموضوعات التقليدية القديمة التى نشأت مع نشأة الشعر العربى، فهو مصاحب لبدايته منذ فجره وسيظل غرضاً شعرياً أصيلاً له مكانته مهما اختلف الزمان، وقد كان الرثاء فى الشعر القديم عبارة عن قصائد متناثرة فى دواوين الشعراء، ولم نعرف شاعراً أفرد له ديواناً خاصاً، ولكن فى العصر الحديث رأينا عدداً من الشعراء يفردون دواوين شعرية حول رثاء الزوجة خاصة، مثل الشاعر عبد الرحمن صدقى فى ديوانه [من وحى المرأة] والشاعر طاهر أبو فاشا فى ديوانه [دموع لا تجف].... وهذه ظاهرة تلفت الانتباه من ناحيتين :

الأولى : أن الشعراء فى العصر الحديث أدركوا أهمية أن يكون للديوان الشعرى محتوى موضوعى وفكرى واحد يرسم به الشاعر إطاراً فكرياً وشعورياً واحداً، ويكون عنوان الديوان دالاً على هذا الإطار العام، وليس كما كان الحال فى الشعر القديم حين تجمع أشعار الشاعر فى ديوان باسمه.

الثانية : اهتمام الشعراء برثاء الزوجة التى لم تنل من قريحة الشعراء القدامى ما نالته فى الشعر الحديث.

وقد كان من بين الشعراء الذين أفردوا ديواناً فى رثاء الزوجة الشاعر عزيز أباظة فى ديوانه [أنات حائرة]، والشاعر محمد رجب البيومى فى ديوانه [حصاد الدمع]، وقد حاول البحث أن يدرس ديوانيهما، وأن يكشف عن مواطن الاتفاق والاختلاف بينهما.

وقد قسمت البحث إلى فصلين يسبقهما تمهيد يتضمن حديثاً مقتضباً عن رثاء الزوجة والتعريف بالشاعرين، ثم يأتى بعد ذلك الفصل الأول بعنوان :**رثاء الزوجة بين عزيز أباظة ورجب البيومى (رؤية موضوعية)** وهذا الفصل مقسم لستة مباحث:

المبحث الأول: التفجع والبكاء والأنين.

المبحث الثانى :فجيعة الأبناء بموت الأم (الزوجة).
المبحث الثالث : الموت والحكمة.
المبحث الرابع : بين الماضى والحاضر.
المبحث الخامس : الزوجة بين الذكرى والنسيان.
المبحث السادس : المراثى الغزلية.

ثم يأتى الفصل الثانى وهو بعنوان:(**رثاء الزوجة بين عزيز أباظة ورجب البيومى (رؤية فنية)** وهذا الفصل مقسم لستة مباحث:

المبحث الأول:التجربة الشعرية.
المبحث الثانى :العاطفة.
المبحث الثالث : بناء القصيدة.
المبحث الرابع : المعجم الشعرى.
المبحث الخامس : الصورة الشعرية.
المبحث السادس : الموسيقى الشعرية.

وكل مبحث من هذه المباحث يبدأ بدراسة شعر عزيز أباظة ثم يتلوه بدراسة شعر الدكتور رجب البيومى ثم التعقيب عليهما بما يكشف عن مواطن الاتفاق والاختلاف.

ثم يعقب هذا الخاتمة وفيها أهم النتائج التى توصل إليها البحث وثبت المصادر والمراجع .

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم إنه على ما يشاء قدير.

أ.د / عمر عبد العزيز الحسينى

تمهيد

الرثـاء غـرض شـعرى قـديم، صـاحب مولـد الشـعر العربـى، ورافـق رحلتـه علـى مـر العصور الأدبية حتى العصر الحديث ؛ لذا فهو غرض يزاحم أغراض الشعر، وقلما نجد شاعراً إلا له قصائد عديدة فى غرض الرثاء، فضلاً عن بعض الشعراء الذين عرفوا بفن الرثـاء كالخنسـاء فـى العصـر الجـاهلى، وفـى الشـعر العربـى نمـاذج مميـزة فـى الرثـاء مثـل قصيدة متمم بن نويرة فى رثاء أخيه مالك التى يقول فى مطلعها :

لعمـري ومـا دهـري بتـأبين هالـك ولا جَـزِعٍ ممــا أصــابَ فأَوجعــا (١)

وكقصيدة ابن الرومى فى رثاء ولديه، ومطلعها :

بكاؤكُما يشْفي وإن كان لا يُجْدي فجُودا فقد أَوْدَى نَظيركُمُا عندي (٢)

وقد تنوعت قصيدة الرثاء فى الشعر العربى بين رثاء الأهل والأحباب وخاصة الأخ والابن، وبين رثاء الملوك والأمراء وذوى الجاه والسلطان، وغالباً ما تكون مراثى الأهل ذات عاطفة جياشة، تعكس تجربة عميقة الألم، فتصور الشاعر كسير القلب، مكلوم الفؤاد، تعلو كلماته وصوره نبرة التشاؤم والحزن ؛ لذا فهى فى الغالب صادقة المشاعر، أصيلة التجربة.

أما قصائد رثاء الملوك والأمراء فهى فى الغالب ضعيفة الأداء تفتقد إلى حرارة النفس ولوعة الوجدان وتصوير آلام الفراق ؛ لأنها تجربة شعرية تقوم على المجاملة، وقد لاحظ النقاد هذا الأمر " فقد قيل للخريمى :مابال مدائحك لمحمد بن منصور بن زياد

(١) المضليات للمفضل بن محمد الضبى ص ٢٦٥تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون طبعة دار المعارف الطبعة السابعة

(٢) ديوان ابن الرومى٢/٦٢٤ تحقيق د/حسين نصار ،مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة ،الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م

أحسن من مراثيك ؟ فقال : كنا حينئذ نعمل على الرجاء ونحن اليوم نعمل على الوفاء، وبينهما بون بعيد" (١).

فهذا الخبر يكشف عن فتور التجربة وضعفها فى مراثى الملوك ؛ لضعف الراوابط النفسية بين الشاعر والمرثى.

ومن الجدير بالذكر ان ننوه إلى أن بعض الشعراء رثوا أنفسهم، من ذلك قصيدة مالك بن الريب المازنى، التى يقول فيها :

أَلا لَيتَ شِعري هَل أَبيتَنَّ لَيلَةً بِجَنبِ الغَضا أُزجي القَلاصَ النَواجِيا(٢)

وهى قصيدة تكشف عن نزعة الألم والتشاؤم.

وأيضاً عمد بعض الشعراء فى قصائد الرثاء إلى الحديث عن المعانى الإنسانية العميقة، مثل قصيدة المعرى فى رثاء صديق له التى يقول فى مطلعها :

غَيْرُ مُجْدٍ فـي مِلّتـي واعْتِقـادي نَـوْحُ بـاكٍ ولا تَـرَنّمُ شـادِ (٣)

فقد تحدث عن الموت فى مقابلة الحياة، وجعل موت صديقه موتاً للحياة كلها، فهى مرثية الكون فى إنسان.

أما عن رثاء الزوجة فقد انصرف شعراء العرب منذ الجاهلية حتى العصر الأموى عن رثائها، وأول ما يطالعنا فى هذا المجال قصيدة جرير الشهيرة فى رثاء زوجته التى مطلعها :

لَـولا الحَيـاءُ لَعـادَني اِسـتِعبار وَلَـزُرتُ قَبـرَكِ وَالحَبيـبُ يُـزارُ (٤)

ولكن ما السبب وراء عزوف الشعراء القدامى على اختلاف مشاربهم وطبائعهم عن رثاء الزوجة ؟ أظن أن السبب هو طبيعة العربى نفسه الذى يستحى أن يظهر فى صورة الإنسان الضعيف الذى يتالم لفراق زوجه، فالعربى يعتبر أن بكاءه على زوجه يلحق به

(١) العقد الفريد لابن عبدربه ٣٢٧/٥ تحقيق /أحمد أمين أحمد الزين إبراهيم الإبيارى ،طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(٢) ديوان مالك بن الريب المازنى.ص ٨٨ تحقيق نورى حمودى القيسى منشورات مجلة معهد المخطوطات العربية.

(٣) سقط الزند للمعرى ص ٧ دار صادر بيروت سنة ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

(٤) ديوان جرير ٣/ ٨٦٢ تحقيق د/نعمان محمد أمين طه طبعة دار المعارف الطبعة الثالثة.

العيب، وقد اعترف جرير نفسه بهذا الأمر فى مطلع القصيدة فقال: **لولا الحياء لهاجنى استعبار**، فهو يستحى أن يبكى زوجه، وأيا ما كان الأمر فقد ظلت قصائد رثاء الزوجة قليلة فى الشعر العربى [١]، حتى جاء العصر الحديث فنظم الشعراء القصائد والدواوين فى رثاء الزوجة، لعل أكثر الدواوين ظهوراً:

- من وحى المراة للشاعر عبدالرحمن صدقى
- أنات حائرة للشاعر عزيز أباظة
- حصاد الدمع للشاعر محمد رجب البيومى
- دموع لا تجف للشاعر طاهر أبو فاشا
- لذكراك للشاعر رابح لطفى جمعة
- جمد الدمع للشاعر ركس بن زائدة العزيزى
- لذكراك للشاعر خليل السكاكينى

والملاحظ أن هؤلاء الشعراء ينتمون إلى المدرسة الكلاسيكية والرومانسية فى العصر الحديث، لذا اتسم شعرهم بالتعبير عن الألم والحزن، وإبراز مشاعرهم بصدق وحرارة، وربما كان هذا دافعاً لحرية التعبير عن آلام الفراق دون حياء كما كان الحال عند الشعراء القدامى.

وسوف تكون دراستنا فى هذا البحث لديوانين لشاعرين والموازنة بينهما الأول: الشاعر عزيز أباظة فى ديوانه:[أنات حائرة] [٢] والثانى : الشاعر الأستاذ الدكتور/ محمد رجب البيومى فى ديوانه [حصاد الدمع] [٣].

---

(١) من الجدير بالذكر أن نشير إلى أن د/أحمد الجدع ، قال بأن شاعرا أندلسيا اسمه ابن جبير متوفى سنة ٦١٤هـ وهو رحالة مشهور ، له ديوان فى رثاء زوجه ، اسمه: نتيجة وجد الجوانح فى تأبين القرين الصالح ، مزج فيه بين القصائد والموشحات.
نقلاً عن مقال بعنوان: دواوين رثاء الزوجات قراءة فى الظاهرة د/ أحمد الجدع وهو منشور على شبكة المعلومات الدولية (الأنترنت) بعنوان:http//www.odabasham.not/shp?sid=z8163

(٢) أنات حائرة /عزيز أباظة طبعة دار المعارف

(٣) حصاد الدمع د/ محمد رجب البيومى طبعة دار ثقيف الطائف

وقبل أن نقف على ديوانيهما بالدراسة والتحليل والموازنة، لابد أن نتعرف على شاعرينا فى إيجاز.

أولاً : الشاعر عزيز أباظة.

هو الشاعر عزيز بن محمد بن عثمان أباظة، شاعر مصرى معروف من رجال الأدب واللغة والقضاء، ولد فى سنة ١٣١٦هـ ١٨٩٨م، فى الربعماية فى الشرقية، وتخرج بالحقوق فى القاهرة سنة ١٩٢٣م، وعمل فى المحاماة، ثم مدعيا عاماً، فقاضياً، وكان من أعضاء مجلس النواب سنة ١٩٢٩م، وتولى أعمالاً إدارية فى الدولة، فكان حاكماً عسكرياً لمنطقة القناة سنة ١٩٤١م، ثم مديراً لأسيوط سنة ١٩٤٧م، كما عين عضواً بمجلس الشيوخ، ثم عضواً بمجمع اللغة العربية، والمجمع العلمى العراقى، وله مطبوعات شعرية منها ديوان أنات حائرة (وهو الديوان الذى رثى فيه زوجه)، ومسرحيات شعرية مثل، قيس ولبنى، العباسة، عبد الرحمن الناصر، شجرة الدر، أوراق الخريف، قافلة النور، قيصر، ويعد رائد المسرح الشعرى فى الأدب العربى بعد شوقى، وكتب قبل وفاته كتاب : من اشراقات السيرة النبوية. توفى سنة ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م [١]

ثانياً : الشاعر محمد رجب البيومى

اسمه محمد أحمد البيومى، ولكنه عرف واشتهر بـ (محمد رجب البيومى)، ولد سنة ١٩٢٣م، فى قرية (الكفر الجديد)، من قرى مركز المنزلة بمحافظة الدقهلية، وحفظ القرآن الكريم قبل العاشرة من عمره فى كُتاب القرية على عادة أهل القرى فى ذلك الوقت، ثم التحق بالمدرسة الإلزامية، ثم بمعهد دمياط الأزهرى فى سن الثانية عشرة، ثم التحق بكلية اللغة العربية، وتخرج منها عام ١٩٤٩م، ثم التحق بمعهد التربية العالى سنة ١٩٥٠م، ثم عمل بالتدريس بالمدارس الثانوية فى أسيوط والمنصورة والفيوم، وفى أسيوط تعرف على زوجه وتزوجها وكانت ما تزال فى صباها الأنيق كما وصفها [٢].

ثم حصل على درجة الماجستير فى الأدب العربى عن موضوعه[الأدب الأندلسى بين التأثير والتأثر] سنة ١٩٦٥م، ثم درجة الدكتوراه عام ١٩٦٧م، عن موضوعه سيدنا محمد فى إبداعه الأدبى، ثم عُين مدرساً فى كلية اللغة العربية بالقاهرة، ثم انتُدب للعمل

(١) يراجع : الأعلام للزركلى ٢٣٢/٤طبعة دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر مايو ٢٠٠٢م.
(٢) حصاد الدمع ص ٩. د/ محمد رجب البيومى طبعة دار ثقيف

بكلية اللغة العربية بالرياض (السعودية) عام ١٩٧١م، ولم تمض سنوات حتى فجع بوفاة زوجه عام ١٩٧٥م، وقد تركت له ثلاث بنات وولد، فنظم فيها ديوان [حصاد الدمع] مصوراً فيه آلامه واحزانه.

وللدكتور رجب دراسات عديدة وإبداعات متنوعة، منها موسوعة النهضة الإسلامية فى سير الاعلام المعاصرين، والأدب الأندلسى بين التأثير والتاثر، والنقد الأدبى فى الشعر الجاهلى، والبيان النبوى دراسة تحليلية، وخطوات التفسير البيانى، وأدب السيرة عند الرواد المعاصرين.

ومن دواوينه الشعرية :صدى الأيام، من نبع القرآن، حنين الليالى، حصاد الدمع.

ومن مسرحياته : ملك غسان، فوق الأبوة، انتصار.

كما كتب عددا غفيراً من التراجم القصيرة لأعلام الفكر العربى قديمه وحديثه، كما كتب عدداً كبيراً من المقالات الأدبية التى امتلأت بها صفحات المجلات، مثل مجلة : الرسالة، فقد كان على علاقة وطيدة بالأديب الأستاذ أحمد حسن الزيات، ومجلة الأديب والثقافة والتضامن الإسلامى ورابطة العالم الإسلامية وصوت الأزهر والمنهل ومجلة الأزهر التى شغل منصب رئيس تحريرها حتى وفاته فى ٥ فبراير ٢٠١١م.

الفصل الأول

رثاء الزوجة بين عزيز أباظة ورجب البيومى

(رؤية موضوعية)

تنشأ عاطفة الحزن نتيجة بواعث متعددة، منها الاغتراب النفسى نتيجة عامل قهرى دفع الشاعر إلى الاكتئاب والعزلة ومن ثم الحزن(١)، ومنها الحزن بسبب الموت، وأغلب مراثى الشعراء من هذا اللون، حيث تنعكس فيه الرؤية الذاتية الشخصية أكثر من الرؤية الجماعية الإنسانية، ويقدر نجاح هذه التجارب بمقدار ما يلقيه الشاعر فيها من معان إنسانية يلامس بها وجدان قارئيه، وبراعة هذه النماذج تتمثل فى معايشة المأساة " ففرق كبير بين أن تعيش المأساة وأن تدركها، وهو نفس الفرق بين أن تكون حزيناً، وأن تدرك معنى حزنك، فبين الرؤية الغائمة والإدراك الناصع يتراوح الوجود بين ظاهر ماثل للعيان ومدرك كلى " (٢).

---

(١) بعض الشعراء لازمت نفوسهم نزعة الحزن بعيداً عن موقف محدد ، وإنما طبعت نفوسهم على نزعة الألم ، فضلاً عن مؤثرات حياتهم وما مروا به من ظروف ، وتجلى أثر هذه النزعة جلياً فى أشعارهم فالمعرى يعكس هذه النزعة المتشائمة فيقول (سقط الزند للمعرى ص ٧ دار صادر بيروت سنة ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م):

أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها المياد

فالحياة فى نظره تتسم بالمزاوجة بين السرور والحزن بل يبلغ الأمر إلى درجة التداخل ، وهذا يعكس نزعته الحزينة، وفى العصر الحديث رأينا شعراء يتسمون بالحزن والألم منهم الشاعر أمل دنقل ، وقد لاحظ الشاعر أحمد شوقى فى هذه الظاهرة غلبة الحزن فى صديقة حافظ إبراهيم فتمنى شوقى أن يموت قبل حافظ حتى يفوز بمرثية يرثيه بها فقال (الشوقيات أحمد شوقى ٢٢/٣طبعة دار العودة بيروت سنة ١٩٨٨م):

قد كنت أوثر أن تقول رثائى يا منصف الموتى من الأحياء

(٢) الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د /عز الدين إسماعيل ص ٣٥٠ طبعة دار الفكرالعربى الطبعة الثالثة

وقد كان شاعرانا ممن عاشوا مأساة مؤلمة، فقد تجرعا كأس الحرمان من الزوجة الحبيبة، ومن ثم تنوعت المعانى والأفكار فى رثاء الزوجة عندهما، وتجربة موت الزوجة تمثل حدثاً مؤلما فى حياة الزوج، وكثيراً ما تتشابك المعانى وتتوارد الخواطر بين الشعراء، بل وبين الناس بصفة عامة، فالتلاقى الشعورى طبيعى فى مثل هذا الموقف ؛ لذا فإن شاعرينا تناولا الموضوع من خلال عناصر محددة اتفقا فى إطارها العام، واختلفا فى مفردات المعانى وتفاصيلها، وهذا ما سيتناوله البحث بالتحليل والموازنة فى المباحث التالية.

المبحث الأول

التفجع والبكاء والأنين

موت الزوجة الحبيبة ملهمة الشاعر يكون صدمة شديدة الوقع على نفسه، صدمة تتوقف عندها حياة الشاعر لتاخذ طريقاً يختلف عما كان عليه من قبل، إنه طريق الألم بعد الراحة، الشقاء بعد السعادة، القسوة بعد الحنان، وسوف نتناول هذا العنصر عند شاعرينا.

أولاً : عزيز أباظة.

صور عزيز أباظة ألم فراق زوجه بصورة دقيقة، وتنوعت المعانى عنده حول هذه الفكرة تنوعاً واضحاً، فنرى الحزن بادياً فى كلماته، والألم يعتصر قلبه الممزق لهذا الحادث الأليم، حتى إنه صار شبحاً لايكاد يعرفه الناس، فيقول:

أعرفتنـــى يـــا دار أم أنكرتنـــى نهـــب الأســـى والبـــث والآلام
أسـوان تهـوى نفسـه مـن وحشـة وتلـــدد فـــى مثـــل بحـــر طـــام
لبس الظلام وعاش فيه ومن يذق مـا ذقت لـم يـأنس لغير ظـلام (١)

لقد تحولت الحياة فى عينيه ظلاماً، وتحول هو إلى صورة مشوهة ؛لذا أنكرته الديار التى كانت تجمعهما، وهذه الوحشة التى يراها فى عين الديار . وهو تجسيد بديع للديار.

(١) أنات حائرة ص ٣٥

جعلته يعيش بعيداً عن الناس، ويؤثر حياة العزلة والانطواء، فقد صار الظلام أنيسه، بل أصبح ثيابه التى يلبسها، وهذا كله حسرة وبكاء على زوجه الحبيبة.

وتزداد نبرة الحزن والألم عنده فقد تحول الكون كله إلى سهام ترميه وتمزق أوصاله، فيقول:

ذهبتْ كما ذهب الضحى متألقاً وبقيت أضرب فى الليالى الجون
وذوت بشاشات الحياة ولم يعد فى أنسها يا [زين] ما يصبينى
أزور عن لألائها ونعيمها فإذا جنحت لها تقشع دونى(١)

فهى تمثل فى حياته وحياة من يعرفونها الضحى الذى يعنى الحياة، ويرمز إلى اكتمال الجمال والحسن، ولكن هذا الضحى سرعان ما أغارت عليه سيوف الظلام، لتترك الشاعر صريع الليالى السود، يكابد الألم وحده، بعدما ذهبت بشاشة الحياة التى كان يراها فى عينيها، وأنس الحديث الذى كان يجمعهما، وهذا النعيم الذى يزعمه الناس لا يراه نعيماً بعدما ماتت رفيقته، فأخذ ينأى عن ملذات الحياة ونعيمها، فقد كانت هى نعيمه وسلواه، ويؤكد هذا المعنى مرة أخرى فى أسلوب أكثر وضوحاً وجلالاً، فيقول:

وقفت أناديها وأهتف باسمها وألحف حتى أوشكت تتكلم
وقلت لها يا [زين]ما من فجيعةٍ تعاظمنى إلا وفقدك أعظم
فأنت لعينى مدى تراءتك قرة وأنت لنفسى مذ تملتك توأم(٢)

والأبيات تكشف عن عمق إحساس الشاعر بزوجه، وحنينه إليها، فقد وقف على قبرها يناديها نداء الأحياء عساها أن تجيب، فأوضح لها مدى فجيعته التى فاقت كل المصائب، فقد كانت قرة عينه وتوأم فؤاده، ورغم أن الشاعر استطاع أن يكشف عن مكنون نفسه، ويوضح مدى عظم مصابه، وحبه لزوجه، إلا أنه كان من الممكن أن يكشف على سبيل الخيال حبه لها عن طريق حوار خيالى بينه وبينها قد تعبر فيه عن حبها له كما كشف هو عن حبه لها، لاشك أن هذا قد يساعد فى رسم أجواء شوقه إليها وتفجعه عليها وألمه لتفرق حبهما.

---

(١) أنات حائرة ص ٥٣.
(٢) أنات حائرة ص٣٠.

ومـن المعـانى التـى عبـر عنهـا عزيـز أباظـة فـى تصـوير حزنـه علـى زوجـه مشـهد البكاء، فنرى ابنته ترأف بحاله وترثى لآلامه فيقول لها :

تقول ابنتى أسرفت فى البث والبكا وأنــت لنــا اليــوم الرجــاء المخلــف
فقلـت وهـل بـاك علـى عـدل نفسـه وقـرة عينيـه مـن المهـد مسـرف(١)

فبكائه أفزع ابنته فخافت عليه أن يصيبه ضرر وهو أملهم ورجاؤهم، وهنا تغلب النزعة العقلية والعاطفية فى آن واحد، فهو يبرر علة هذه النبرة الحزينة والبكاء الغزير والعاطفة المؤججة بأنه فقد أغلى ما فى حياته كلها، أيكون بكاؤه عليها إسرافاً ؟! هنا يأتى المبرر العقلى .قرة عينه وعدل نفسه .ليؤكد عمق الحالة النفسية التى يعانيها الشاعر.

وصـورة الحـزن تتجلـى فـى أوج معانيهـا عنـد مشـهد الوفـاة، حـين تمتـزج ماسـاة فقد الزوجة الحبيبة بمأساة اليتم الذى يعانيه الصغار، فيقول:

لـم أنـس يومـا هفا فعاجلك الردى همســاً بــذلت إلــى غيــر مبــين
وســناك لمــاح ونفســك طلقــة تســنى بإيمــان وصــدق يقــين
قلت ارع أكبدنا الضعاف وأَوْلِهم مـن عطفـك المنهـل مـا تـولينى(٢)

فالأبيات تكشف عن صورة الإيمان والنورانية وصدق اليقين الذى كانت عليه زوجه عند احتضارها، وهى صورة يتأسى بها الشاعر حين يرجو لها أن تكون فى دار النعيم فى الآخرة، ثم إنها توصيه بأبنائه، وتسأله أن يحوطهم بعطفه، ويحفظهم برعايته، وهى أمانة ثقيلة ألقتها على كتف الشاعر إذ كيف يكون بديلاً لها؟ وهى التى كانت زهرة البيت وسراجه، ورغم هذا فإنه يعدها بأنه سيحفظ العهد والود، ويخلص فى رعاية أبنائه، فيقول:

يا [زين]إن ثقل الوفاء على الورى فتصــابؤا عــن شــرعة المســنون
فأنــــا المقــــيم وفــــاؤه ووداده عهدى إليكِ على المدى ويمينى(٣)

ويؤكد عزيز أباظة هذا المعنى فى صورة أكثر تفصيلاً وتوضيحاً، فيقول :

---

(١) أنات حائرة ص٨٢.
(٢) أنات حائرة ص٥٤.
(٣) أنات حائرة ص٥٤.

دفعــت صــدرها إلـــى وألقـــت رأســـها عنـــد موجـــع ذى خفـــوق
ثـــم قالـــت فـــى أنـــة وأنـــاة أزفـــت ســـاعة الفـــراق الســـحيق
لا تـــرع واحمـــل الفجيعـــة جلـــداً لســـت للضـــعف دونهـــا بخليـــق (م)
وأشـــارت لطفلـــة تشـــهد الهـــول (م) **بقلـــــب دام وجفـــــن غريـــــق**
قالـت ارع الأولاد وابـق كمـا كنـت مثـــال الأب المحـــب الرفيـــق
ومضـــت تنـــزع الحيـــاة وتلقـــى (م) **فـــى زفيـــر أعباءهـــا وشـــهيق**
فـــى ســـنى لامـــح وعـــرف ذكـــى (م) **وابتســـام عـــذب ووجـــه طليـــق**
لـو تراهـا تقـول قـد مسـها البُهْرُ فـــآوت إلـــى سُـــبات رقيـــق
ووقفنـــا مـــروعين نجيـــل الطـــرف بـــين التكـــذيب والتصـــديق (١)

وهـو مشـهد أكثـر بيانـاً يعتمـد فيـه الشـاعر علـى الحالـة الواقعيـة فيصـف مشـهد احتضارها ولكنها صورة عامة لهذا المشهد لا تتجلى فيه خصوصية لزوجه.

وامتداداً لصورة حزنه على فراقها وأثر موتها عليه وتفجعه لفراقها يصور الشاعر صورة البيت من بعدها وأنه قد حل به الخراب والدمار، فيقول :

فانظر تر الدار قد هيضت جوانبها وانظر تجد أهلها أشباح أجساد(٢)

فكل شيء فى البيت قد تحول وتبدل، فجوانب البيت المادية متمثلة فى الجدران وأثاث المنزل يبكيها، وصار البيت بيتاً للأشباح، ويصف الحالة البائسة التى تعيشها الأسرة فنرى أنين أبنائه ووجوم وجوههم، فيقول:

قـد شـهدنا الخطـب لمـا وقعـا ورأينـــا البيـــت حـــين انصـــدعا
فتبادلنـــــا أنينـــــا والهـــــا ذابـــت الأنفـــس فيـــه قطعـــا
وتولانـــــا وجـــــوم ذاهـــــل حـــبس الـــدمع وأرى الهلعـــا (٣)

(١) أنات حائرة ص٣٩.
(٢) أنات حائرة ص١٨.
(٣) أنات حائرة ص٢٤.

فرغم أن الدموع قد حبست إلا أن أنينهم ووجوم وجوههم جعل نفسه تذوب حسرة وكمدا

ورغم أن الشاعر عبر عن حزنه لفراقها، وبيّن أثر فراق زوجه الروحى والنفسى فى حياته وحياة أولاده، إلا أنه لم يبيّن أثرها المادى فى حياته، وهذا يكشف عن طبيعة حياتهما فقد كانا فى ترف من العيش، خاصة وأنه من أسرة عرفت بالثراء، وكثيراً ما كانت تستعين هذه الأسر بالخادمات فى رعاية البيت والأبناء مما لا يسبب للشاعر مشكلة فى المطالب المادية ومن ثم لم يعن بها الشاعر، أما الجوانب الروحية فقد عنى بها خاصة أن زوجه كانت تغمره وتغمر البيت كله بحنانها.

ثانياً: د/ رجب البيومى

فجع د/رجب البيومى بموت زوجه وهى فى شبابها، فكان موتها نقطة تحول فى حياته، فذرف عليها الدموع وبكاها بقصائد كثيرة، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائد ديوانه حصاد الدمع من تصوير فجيعته والألم الذى حاق به، فكان هذا المعنى صدى عاطفة حزينة باكية تتألم لها نفس الشاعر.

وقد تنوع د/رجب فى تناول هذا المعنى، فنراه يجعل فراقها كالصاعقة التى حلت به، فيقول فى إحدى قصائده التى خرجت قليلاً عن النظام العمودى إلى نظام المربعات:

كسقطة الصاعقة المدمرة
كرجفة الزلزلة المزمجرة
كصرخة القنبلة المنفجرة
قد كان وقع نعيها عليا(١)

وقد استخدم مشهداً حسياً لتصوير الكارثة، فنرى الصاعقة والزلزلة والقنبلة وكلها لتأكيد أثر موت حبيبته على نفسه، وقد احتار هذه الكلمات ؛ لتدل على نهاية العالم بالنسبة له، فموتها هو نهاية الحياة، فإذا كانت الصواعق والزلازل والقنابل سببا فى إبادة الحياة فإن سماعه نعى زوجه الحبيبة إبادة ونهاية لحياة السعادة التى كان يحياها فى ظلال مودتها، والشاعر هنا يسلط الضوء على مؤثرات خارجية وكوارث تحدث للبشر ليرسم فداحة الخطب، ويؤكد أصداء هذه الكارثة على نفسه، فيقول:

(١) حصاد الدمع ص ١٢.

بخنجـــر فـــى خـــافقى مســـموم
بغصـــة تنشـــب فـــى حلقـــومى
بجـــذوة تشـــعل فـــى حيزومـــى
أقضـــى حيـــاتى بعـــدها شـــقيا(١)

فخبر موتها خنجر مسموم فى قلبه، وغصة فى حلقه تقتله، وجذوة نار مشتعلة فى صدره، هذا كله جعل حياته كلها شقاءً وبكاءً.

وهكذا نرى د/رجب يعتمد على المؤثرات الخارجية من كوارث الحياة، ويربط بينها وبين إحساسه وشعوره، وتتسع موجة التصوير الحسى للمعانى النفسية الداخلية عنده حين نراه يربط بين صورة التلفاز التى اسودت بعدما كانت مشعة يأنس بها فى رفقة زوجه، فيقول :

فـــأين لـــيلاى التـــى بهـــا زهـــت صـــورته
كانـــت إذا رنـــت لـــه تألقـــت فتنتـــه(٢)

فقد رمز لحياته التى اسودت ولبس فيها لمأساته وفجيعته ثوب الحداد بالتلفاز الذى اسودت شاشته، ويستمر الشاعر فى رسم أصداء الألم عنده من خلال مؤثرات مادية أخرى أحرقت جوانحه فيقول :

لـى الله مـن ذى حسـرة برحيلهـا لهـا مسـرب بـين الجـوانح موغـل
تذيب شغاف القلب ويلى فإن علت إلى الحلق قرت فيه والريق حنظل(٣)

ونرى صورة الحزن تسيطر عليه حتى إن نفسه تجفو السرور فيقول :

لـى الله يـاتينى السـرور هنيهـة فـأجفوه حتـى لسـت منـه علـى فكـر
فإن حل شجو لابس النفس موغلا بأحشـائها مسـتبطنا أعمـق الغـور
يلازمنـــى كالظـــل أنشـــد هجـــره فيسرى ورائـى ملحفـاً حيثمـا أسـرى(٤)

(١) حصاد الدمع ص ١٤.
(٢) حصاد الدمع ص ٦٧.
(٣) حصاد الدمع ص ٢٨.
(٤) حصاد الدمع ص ٤٧.

وصورة الألم والفجيعة بعيدة الأغوار فى نفس الشاعر لذا قال :يأتينى السرور فأجفوه.. لابس النفس.. موغلاً بأحشائها.. يلازمنى كالظل.. يسرى ورائى.. وهى كلها عبارات تؤكد أن الحزن سكن فؤاده، وعاطفة الشاعر فيها شىء من ملل هذا الحزن وتمنيه أن يخرج منه، فقال: أنشد هجره.. مما يدل على ميل عاطفته نحو إنهاء هذا الألم والحزن الذى يعيشه، فهو يعيش صراعاً بين نفسه المكلومة والحياة التى تزين له الملذات، ودائما ما تنتصر نفسه الحزينة فيبقى فى قاع الماساة والألم عليلا.

وتتجلى معالم فجيعته بموت زوجه فى تكرار مشهد البكاء فيقول:

بكيت عليها أم بكيت على نفسى كلا الجانبين استغرق الجهد فى بؤسى(١)

ثم يقول:

إذ ارتحت من سكب الدموع هنيهة تأوهت من وقع المطارق فى رأسى(٢)

فهو وهى شىء واحد وإن كان يبكى فراقها فهو أيضاً يبكى نفسه الحزينة، ولا فرق بين الحالتين بكائه على نفسه وبكائه عليها، ولكنه جعل سكب الدموع الذى قد يكون راحة للنفس ألما على نفسه لا ينفك يرتاح منه حتى تطرق رأسه مطارق الأحزان فلئن كان ابن الرومى جعل البكاء راحة حين قال :

بكاؤكُما يشْفي وإن كان لا يُجْدي فجُودا فقد أوْدَى نَظيركُما عندي (٣)

فقد جعل الشاعر رجب البيومى سكب الدموع ألما يرتاح منه بعض الوقت، ثم لا يلبث أن تطرق رأسه مطارق الأحزان، وينتقل بعد ذلك إلى تصوير خراب بيته، وأنه يعيش حياة بائسة مؤلمة، فيقول:

وتركت بيتك فى مهب زعازع متوجساً من أن يحل دمار
لو كنت فى هذى الحياة أسأتنى يوماً صبرت إذن وحان قرار
وأقول أنثى فى الحسان كغيرها ينأى بها فى النازحات مزار
لكننى طالعت عمرك باحثاً عن موقف فيه عليك غبار
فإذا كتابك ناصع متألق وإذا مصابى فادح قهار(٤)

(١) حصاد الدمع ص ٣٠.
(٢) حصاد الدمع ص ٣٠.
(٣) ديوان ابن الرومى٦٢٤/٢ تحقيق د حسين نصار مطبعة دار الكتب والوثائق القومية الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ٢٠٠٣م
(٤) حصاد الدمع ص ٢١.

فالبيت أصبح فى مهب الريح، تعصف به المخاطر من كل ناحية، وقد كشف الشاعر عن محاسن زوجه مما زاد من إحساسه بخراب البيت، فقد كانت بلسماً، يشرق بها البيت ؛ لذا فهو لا يجد لها نظيراً فى الحياة.

ومما زاد من فداحة الخطب أن الشاعر تعرض لهذه النكبة وقت أن كان مغترباً، مما جعل الأحزان تتزاحم عليه فيقول :

قد تغربت لا لشيء سوى أن ... أقضى العمر فى بلادى هنيا
ولأطفالنا من الخصب والرفه ... حياة تفيض نوراً وريا
ما توقعت فى شبابك هذا ... أن تلاقى محتومك المقضيا!
حسرتاه وألف واحسرتاه ... حيثما انهد كل شيء عليا[1]

فهو يكشف عن تجربة إنسان بسيط، يحلم ببيت تحوطه السعادة، ولكنه بعدما تحمل آلام الغربة انضمت إليها آلام الفراق، لذا قرر الشاعر أن يعود إلى بلاده، وقد دفعته هذه الأزمة إلى العزلة والانطواء، فيقول:

قد فقدت الطموح فى الناس لا أطمح (م) إلا لأن أعيش خليا
أترك الناس فى اختلاف الطوايا ... كل فرد بملبس يتزيى
يباهون بالخلاف فلا تسمع ... إلا رأياً يخالف رأيا[2]

فهو يرى أن كلام الناس بغاث الطير، لذا فهو ينأى بنفسه عنهم، ورغم ما عرف عن الشاعر من حسن عشرته، ومودته للناس وكثرة زائريه، إلا أنه كان يعيش فى عزلة نفسية، يؤثر أن يعيش بين كتبه وذكرياته، لذا فهو يوازن بين حالتين، الأولى: حين يدخل المنزل فتصيبه حالة من الكآبة والحزن، فيقول:

إنى لأحذر من دخولى منزلى ... هلعا وما يغنى لدى حذار
من ذا أواجه إذ أبادر غرفتى ... (لا أنت أنت ولا الديار ديار)
أتمثل الأطفال فى حسراتهم ... فافر إذ لا يستحب قرار[3]

---

(١) حصاد الدمع ص ٥٥-٥٦.
(٢) حصاد الدمع ص٥٧.
(٣) حصاد الدمع ص١٩.

والحالة الأخرى حين يخرج إلى الشارع وكانه يهرب من الأحزان، ورغم هذا فالحزن يلاحقه، فيسير فى ذهول عن الناس من حوله، فيقول:

ألمحـــت ســـيرى فـــى الشـــوارع حيـــران لا جلـــد ولا اســـتقرار؟
أخشى اصطداماً فى الطريق تتيحه ســـــيارة أو حفـــــرة وجـــــدار
أرأيت كيف تصير تعزيـة الـورى ؟ ثغـــرات جـــرح هاجـــه التـــذكار
أجفـــو الأنـــام تفـــرداً بكـــآبتى فـــإذا اضـــطررت فوحشـــة ونفـــار (١)

وتتجلى أثار فجيعته حين يلازمه خيالها فيذكرها فى كل شىء حوله فيقول:

خيالهـــا فـــى نـــاظرى يهلـــل
أرنـــو لـــه مجســـماً فأذهـــل
أهـــم أن ألمســـه فيجفـــل
وقـــد بـــدا مؤتلـــق المحيـــا(٢)

ورغم أن الشاعر عبر عن قسوة الحياة من حوله وأن أقسى هذه الحالات حين يرى خيال زوجه ينقشع من ناظريه ويصبح سراباً، إلا أن هذه الصورة تكاد تكون واقعية يحسها كثيرمن الناس عند فقد ذويهم.

وقد يكون النوم وسيلة للهروب من آلام الحياة، فيقول :

وأغفـو قلـيلاً أنشـد البرء فـى الكرى وكـم خفـف الـداء الملـح رقـود
فتحكـى لـى الأحـلام هـول مصـيبتى وتبـــدى فـــى تمثيلهـــا وتعيـــد
وأنهـض مـذكوراً أواجـه حسـرتى فسـيان عنـدى غفـوة وسـهود (٣)

فالشاعر خرج بحزنه عن طبيعة البشر، فاذا كان النوم راحة للناس فهو ألم له، يذكره آلامه وتجرى الدموع فى عينيه، وتتجلى آثار فجيعته بوضوح فى حواره مع الطبيب، وفى وقوفه على قبرها.

(١) حصاد الدمع ص ٢٣.
(٢) حصاد الدمع ص ١٤.
(٣) حصاد الدمع ص ١٠١.

ثالثاً : بين الشاعرين.

استطرد د/ بيومى استطراداً واضحاً فى معانيه فصور فجيعته وألمه لفراقها، ورغم هذا استخدم مؤثرات حسية لرسم الأثر النفسى بداخله، فصورها بالقنبلة والصاعقة.... وهذا يكشف عن نزعة حسية فى تصوير الألم، أما أباظة فقد كان روحياً فى تصوير هذه الفاجعة، كما أن عزيز أباظة كان أقل تكراراً للمعانى، أما د/بيومى فقد استطرد فى المعنى الواحد وكرره بألفاظ مختلفة، فيقول

كسقطة الصاعقة المدمرة
كرجفة الزلزلة المزمجرة
كصرخة القنبلة المنفجرة
قد كان وقع نعيها عليا(١)

فما الجديد فى ذكر الزلزلة المزمجرة بعد الصاعقة المدمرة ؟ انه تكرار للمعنى لاطائل من ورائه، وهذا الاستطراد واضح فى قصائد د/ بيومى.

كما سعى د/ بيومى إلى رسم مواقف واقعية مثل مشهده عند موتها وحواره مع الطبيب، فهى صورة حرفية للواقع فيقول:

نزلت بها دار السقام مؤملاً — شفاء لها أعتده أهون اليسر
ولم أدر أن الأرض بعد دقائق — سترتج بى كالراسيات لدى الحشر
وأن كيانى سوف ينهار طائراً — كما فعلت هوج العواصف بالذر
وأنى سأختص الطبيب بلعنتى — وألقى عليه وحده أفدح والوزر
تجاهل هول الخطب إذ واجه الردى — وأسرع نحو الباب فى خفة الطير
قد اعتاد أن يلقى المنايا كأنها — ظواهر كون كالصباح وكالظهر(٢)

أما عزيز أباظة فقد وصف مشهد الموت وأثره عليه دون إدراك لأى إنسان أو أى شىء حوله.

(١) حصاد الدمع ص ١٢.
(٢) حصاد الدمع ص ٤٥.

وقد أوضح د/ بيومى الأثر المادى عقب وفاتها على البيت والأسرة باعتبارها الراعية له وكذلك الأثر الروحى، أما عزيز أباظة فقد اهتم بالأثر الروحى فقط، وهذا راجع إلى طبيعة حياة عزيز أباظة الذى كان يعيش فى ثراء، وهذا فارق جوهرى بينهما.

وقد استطاعا معاً أن يعبراعن تجربة الشاعر المعاصر الذى يعانى تجربة الحزن بصورة عميقة وليست صورة عارضة طارئة، واستطاعا أيضا أن يعيشا الحزن ممتزجاً بالحياة، ولمسنا هذا فى قصائد أعياد الميلاد عند عزيز أباظة، وهذه هى سمة الشاعر المعاصر فى معاناته فهو " لا يقف بالرؤية الشعورية عند جانب واحد من جوانب الحياة سواء أكان جانب الفرح أم الحزن، وإنما يستلهم هذين النقيضين بشكل واحد كتفسير أشد وعياً وأكثر شمولاً لحقيقة الحياة، إذ لم تعد الحياة فى مفهوم الشعر المعاصر مجرد حدود فاصلة بين ظاهرتى الفرح والحزن" (١)

(١) حركة النقد الحديث والمعاصر فى الشعر العربىد/ إبراهيم الحاوى ص ١٩٤ طبعة مؤسسة الرسالة بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م

المبحث الثانى

فجيعة الأبناء بموت الأم (الزوجة)

كما أن موت الزوجة له أثر بالغ الألم فى نفس الشاعر كذلك فإن موتها يوجع الأبناء، ولا ينسى شاعرينا أن يتناولا هذه الجزئية عند رثاء الزوجة ؛ ليكشفا عن أثر الفجيعة ومدى الألم، وعظم المصاب على كل من عرف هذه الفقيدة الحبيبة، وخاصة الأبناء وهم الذين يكابدون اليتم.

أولاً : الشاعرعزيز أباظة

صور الشاعر عزيز أباظة فجيعة أولاده بموت زوجه، وأنهم يبكون ليل نهار، وهذا البكاء يؤرقه ويقطع قلبه شفقة على أبنائه وحزناً لفراقها، وإذا كان هو نفسه مصاباً عليلاً فكيف لمصاب مكلوم أن يداوى من يعانى من نفس جراحه ؟ فيقول:

ومـا يفـرى فـؤاد أب حـزينٍ كأطفـالٍ لـه نكبـوا صـغارا
نـأت كالشمس أمهمـو فأمسـوا وإن كنـت الحفـى بهـم حيـارى
وكـانوا فـى فـم الـدنيا ابتسـاما فأضـحوا أدمعـا فيهـا غـزارا[1]

فأوجاعه متضاعفة، فجيعته بموت زوجه، وفجيعته بأطفاله يتألمون ويبكون، وأنهم أمسوا بعدها فى ليل حالك، فإذا كان غروب الشمس دليل على انتهاء اليوم، فموتها يعنى انتهاء الحياة لهم، حتى ولو كان والدهم هو الهادى لهم فى ظلمات الحياة فسيظلون حيارى باكين، وتتكرر صورة التقابل بين الدمع الغزير والبسمة فى ظلال حنان أمهم بما يكشف عن مأساة شديدة يعيشها الشاعر وأولاده.

ويتابع الشاعر عزيز أباظة حالة أبنائه وهم يبكون فى كل وقت وحين، فيقول :

ولـو أسـكنتهم حبـات قلبـى لمـا هـدأوا ولا طعمـوا قـرارا[2]

(١) أنات حائرة ص ٤٤.
(٢) أنات حائرة ص ٤٤.

فالبكاء أصبح ملازماً لهم، وقد كان إحساس الشاعر عزيز أباظة بفداحة المصاب سبباً فى أن يبحث عن شىء يخفف عن أبنائه مصابهم ويعوضهم عن أمهم الفقيدة، فيدعو ابنته الكبرى أن تكون أما لأبنائه تحوطهم برعايتها، فيقول:

اسألى ربك يلهمك مع الصبر هداك
واثبتى للخطب واستعلى عليه بصباك
واذكرى أمك وابكيها ومن يبكى سواك
واحملى عبء أشقاك ولا تنسى أباك(١)

ولا ينسى الشاعر أن يمزج بين الصبر والبكاء، فهو يرى أن زوجه جديرة أن يبكيها بقلبه ويرثيها بكلماته، وكذلك ابنته هى الأخرى تدرك عظم المصاب لذا يدعو أولاده للصبر والبكاء فى آن واحد، وتظل صورة الصبر والتأسى ملازمة له فى أحاديثه مع أولاده، فيقول لابنته الصغرى :

تغير الدهر بنا والدهر ذو تغير
يا قطعة من كبدى تذكريها واصبرى(٢)

فكلمة الصبر ظلت تتردد فى أشعاره فى وصيته لابنته الكبرى والصغرى، ويكرر دعوته لهم بالصبر فى قصيدته (نجوى) فيقول:

بنى اصبروا للخطب إن شبابكم يُرفه من فدح الجوى ويُكفكف(٣)

فأولاده هم الأمل فى الحياة، وحياتهم قد تكون سبباً لتحمل الألم، ويكرر هذه الوصية بالصبر مرة أخرى، فيقول فى قصيدته (يوم ميلادك يا بنى):

يابنى أحلامى وروحى ودمى وصمام الأمن عند النازلات
إنما أنت بقايا أمل لاح لى بين طوايا الظلمات
قل لأختيك أسلما واستسلما واطلبا بالصبر أجر الصابرات(٤)

---

(١) أنات حائرة ص ٢٢.
(٢) أنات حائرة ص ٢٣.
(٣) أنات حائرة ص٨٥.
(٤) أنات حائرة ص ٩٢.

وهكذا نرى الشاعر يمزج بين الأمل واليأس، فالصبر وتحمل المصاب يتردد كثيراً فى حديثه لأولاده، وكانه يتصبر بهم، أويتصبرون به، أويتصبرون جميعاً بمستقبل عساه أن يكون جميلاً بنجاح أبنائه فى حياتهم وتحقيق أمل والدتهم الفقيدة، لذا يقول فى نهاية قصيدته :

فخـذوا العـيش بأيـد وهـدى واقتفـوا آثارهـا فـى الخالـدات
لا تقولـوا فقـدها مقعـدكم عـن بلـوغ الـدرجات المشـرقات
رب أيتـام ضـعاف قلـدوا عنـق الـدهر جليـل المـأثرات
لا تقيسـوا بـأبيكم شـأنكم المقـاييس لنـا مختلفـات
إنـه مـاض وأنـتم قابـل والـدنا تصـدف عـن مـاض لآت
أنـا إن عشـت فحسـبى متعـة أن أذيـب العمـر بـين الـذكريات(١)

فهو يعتمد فى هذا المقطع الشعر على النصيحة ويقلل من دور الأداء الشعرى، بيد أنه استطاع أن يقابل بين حالته وحالة أولاده وأنهم أولى وأجدر بالصبر والاجتهاد، فلا ينظروا لضعفه واستسلامه فهم شمس تشرق وهو أيام تدبر.

ويصور كذلك ظلام أيامهم بعد وفاتها فيقول:

بنـى ابتلينـا بالليـالى الغـوادر تكـر علينـا والجـدود العـواثر
فقـدنا بهـا نعمـى الحيـاة وأمنهـا وهنـا كعقـد اللؤلـؤ المتنـاثر
سنضرب فى الدنيا إلى أن نجيئها بقسمة محروم وصفقة خاسر(٢)

والملاحظ أن عزيز أباظة لا يندمج فى شعوره مع أولاده ففصل بينه وبينهم، فلم يجمعهم إلا الحزن، فهو يدعوهم إلى الإقبال على الحياة بينما يهجرها هو، وكان الأولى به أن يدمج شعوره بشعورهم، وقد تحدث عن صورة فراقها لهم بتناثر حبات اللؤلؤ من العقد وهو صورة تقليدية قديمة، فضلاً عن أنها صورة تتكرر فى تصور وكلمات العامة مما لا يجعل لشعوره وتعبيره خصوصية، فضلاً عن أنه جعل علاقتها بهم مقتصرة على الحنان والحب ؛ لذا فهو يوازن بين عطفه عليهم وعطفها عليهم، فيقول:

(١) أنات حائرة ص ٩٤.
(٢) أنات حائرة ص ٦٦.

فلن يغنيهمو يا [زين] عطفى ولو قد سال من كبدى ومارا
حنو الأمهات حنو طبع وتضحية فكيف إذن يجارى (١)

والبيتان يدلان على نظرة مادية فى الفرق بين حبه ورعايته لهم وبين حبها وحنانها الأنثوى، ويدلان على أنها مثلها مثل كل أنثى ذات قلب رحيم، فجعلها مثل كل الأمهات فقال: (حنوالأمهات) وليس حنانها هى بذاتها، وكان الأحرى به أن يجعل لحنانها صورة مميزة لا صورة مكررة من حنو كل حواء.

وهكذا نرى عزيز أباظة يجعل من مأساة موت زوجه كارثة له، ولم يظهر أثر هذه الكارثة على الأبناء، فلم نر فى تجربته أثر الاندماج بينه وبينهم، أو استبطان أثر هذه المأساة عليهم، وإنما اقتصر على إخبارنا ببكائهم ودعوته لهم بالصبر، وحتى فى الأبيات التى قد تدعو لالتقاء مشاعره بمشاعرهم يعود مرة أخرى فيفرق بينه وبين أبنائه، فيقول:

أبنى عولجتم بيتم داهم واليتم لا يحلو ولا يترفق
سنعيش ما عشنا يلج بنا الجوى عانين تصبحنا الهموم وتطرق
فى أضلعى وشعوب نفسى تلتقى أشجانكم وأساكمو المتفرق
فإذا اختلاف الدهر كفكف دمعكم والدهر يُنسى والشباب الريق
فأنا الذى لا ينثنى يعتاده هم يؤرقه وبث موبق (٢)

فقوله: (كفكف دمعكم)يدل على نسيانهم لأمهم، وأصبح اختلاف الدهر وتقلب الأيام، وإقبال الحياة بملذاتها، ونضارة الشباب سبباً فى نسيانهم لأمهم ؛ لذا كان تصويره لأولاده غير فعال فى تصوير الماساة.

ثانياً: د/ رجب البيومى

ماتت زوجة د/ بيومى وهما مغتربين، فتركت له عبء الأولاد ومرارة وقسوة الأيام، ولم يجد الأبناء غير كف الشاعر تحنو عليهم ؛ لذا كان موتها صاعقة لهم، استطاع الشاعر أن يرسمها بدقة، وأن يسبر أغوار هذه الفاجعة فى نفوسهم، خاصة وأنهم أطفال

(١) أنات حائرة ص ٤٥.
(٢) أنات حائرة ص ٨١-٨٢.

صغار، يشق عليه أن يرى الأسى والحزن فى عيونهم، بعدما كانت تحنو عليهم حنو الحمام على صغاره، فيقول:

تربـوا فراخـاً فـى العشـاش تـزفهم حمامـــة أيـــك بالأهـــازيج تهـــدل
يحسون فيض الحب تحت جناحها فمـــا مـــنهم إلا الأثيـــر المـــدلل
إلى أن مضت عنهم شهيدة جهدها فنـاحوا عليهـا صـارخين وأعولـوا[1]

والشاعر يستخدم عناصر من الطبيعة تجمع بين الرقة فى وصف جمالها، فقد جعلها كحمامة الأيك تهزج وتهدل، ورسم الفجيعة بموتها حين صور أولاده بفراخ فى أعشاشها، ويستتبع الشاعر كل صورة من هذه الصور بما يزيدها عمقاً، فصورة حمام الأيك تصحبها الأهازيج وفيض من الحب، وصورة الفراخ فى العشاش تصحبها صورة النواح والصراخ والعويل.

ولا ينسى د/بيومى أن يعرض مفردات المواقف العصيبة التى مرت به وبأولاده عند وفاتها، وصراخهم يطلبون منه أن يفعل شيئاً ينقذها به من يد الموت، فيقول:

وقد صرخت زغب القطا فى تفزع تناشد من يحمى ولا من ينافح
تخبط أفلاذى على نفث سمه تخـــبط ورق داهمتهـــا الفـــوادح
يصحن أبى عجل فللموت هجمة تحاصـــرنا والأفـــق أســـود كـــالح
يصـــحن أبـــى أدرك بربـــك أمنـــا وأبلس لا أدرى بمن أنا صائح[2]

ويتجلى جمال المعنى فى أنه جمع بينه وبين أولاده فى صورة واحدة، تكشف عن ألم واحد ولكن فوارق الزمن جعلته يصرخ فى داخله صراخ العاجز، لكن الأولاد يصرخون صراخ الرجاء، فيأملون أن يفعل والدهم شيئاً يستنقذ به أمهم من براثن الموت، ولكنه وقف صامتا صمت المفجوعين المكلومين، لأنه يدرك معنى الموت.

وصورة الصراخ تتكرر بصورة واضحة فى قصائد د/ رجب، فيقول:

هنـــا الطفـــل ملتاعـــاً يكابـــد داءه ويسأل عما قد جناه فلا يدرى[3]

(١) حصاد الدمع ص ٢٦-٢٧.
(٢) حصاد الدمع ص ٨٦-٨٧.
(٣) حصاد الدمع ص ٤٣.

وقد كتب الدكتور رجب قصيدة بعنوان (يقولون ماما) صور فيها مأساة الأبناء وحالتهم النفسية، والألم الذى يكابدونه فى صورة مؤثرة تتسم بتوضيح أبعاد التجربة القاسية عليهم، أكثر من كونه يصف حالتهم وصفاً ظاهرياً، فيقول:

يقولـون (ماما) كلما عن مشكل وأولى بهم أن يسكتوا لو تعقلوا
يقولون (ماما)ما الذى أنا صانع؟ ومن دون (ماماهم) تراب وجندل
يصيحون بى هلا ذهبت تعيدها كأنى برد الراحلين موكل[1]

فالأبيات توضح جانباً من سذاجة الأطفال وظنهم أن فى مقدور والدهم أن يعيد إليهم أمهم، وقد استطاع الشاعر أن يربط بينه وبين أولاده فى تصوير حالة العجز والضعف الذى يعيشه هو وأولاده، ولا ينسى أن يعطينا . أيضا . بعض المشاهد الواقعية للحياة اليومية فى مثل هذه المواقف فى ثوب شعرى أخاذ، وتتكرر الأسئلة على ألسنة الأبناء، فيقول فى أسلوب حوارى بينه وبين ابنته غادة التى لم تتجاوز أعوامها الثلاثة:

وتجىء (غادة) وهى ذات ثلاثة ولها كرَبّات الحجا استفسار
فتقول أمى يا أبى قد أبطأت بالله أين مكانها فتزار؟!
حل المساء ومرقدى بجوارها فى البيت وحدى ما لدى جوار[2]

فهو مشهد واقعى مقتضب لكنه شديد القسوة على نفس الشاعرعكس من خلاله آلام ابنته، وعجزه عن أن يكون بديلاً لأمها، وتتكرر هذه الحالة الواقعية فى مواقف عديدة تجمع الأولاد بأبيهم، فيقول:

وسؤال الأطفال عنها متى تا (م) تى ولا يشتفى برد سؤول[3]

وهكذا التصق الشاعر رجب البيومى بوجدان أبنائه وعبر عن إحساسهم بالمأساة فى صورة واقعية دقيقة راعى فيها تجسيد هذه المأساة فى ثوب يتناسب مع عمرهم، لذا كانت أفكاره حول هذا المعنى تأتى فى صورة درامية سريعة خاطفة.

ثالثاً : بين الشاعرين

(١) حصاد الدمع ص ٢٥.
(٢) حصاد الدمع ص ١٩.
(٣) حصاد الدمع ص ٧٧.

وبعد أن تناولنا أثر موت الزوجة على الأولاد وكيف تناوله شاعرينا يجدر بنا أن نوضح بعض الفروق بينهما.

١. اتسم الشاعر عزيز أباظة بالاقتضاب، فلم يهتم بتوضيح أثر هذه الفاجعة على أولاده إلا من زاوية الحديث عن دعوته لهم بالصبر، وتحمل المصاب، ودعوته لهم بمواصلة الحياة وأن هذا تحقيق لآمالها، أما د/ رجب فقد كان أكثر تصويراً لآلام الأطفال، ولا تكاد تخلو قصيدة من إشارة لحزنهم ومشاركتهم له الآلام، ولئن كان عزيز أباظة دعا أولاده للصبر، فإن د/رجب لم يتناول هذا المعنى ربما لأنه يشعر أنه لا يقدر عليه وأن أولاده الصغار لا يدركون معنى الصبر بعد فراق أمهم ذات العطف والحنان.

٢. عبر الشاعر عزيز أباظة فى صورة تقريرية عن حزن أبنائه، أما د/رجب فقد جعلهم يصرخون وهى صورة واقعية تدل على صغر أعمار أبناء د/رجب وقت المأساة، كما جعل عزيز أباظة بكاء أبنائه على أمهم مدة من الزمن قد تنقطع بعد فترة، خاصة أنه يدعوهم إلى النسيان والاجتهاد فى الحياة، أما د/رجب فقد جعل بكاءهم ملازماً لهم أبد الدهر.

٣. اعتمد د/رجب على الاستفهام فى حواراته مع أبنائه، وكانت الأسئلة كاشفة عن ألمهم الشديد، وهو ألم طفل برئ لا يرجو من الحياة سوى يد الحنان تمسح رأسه، أما الشاعر عزيز أباظة فقد اعتمد على الأسلوب الخبرى فى تصوير موقف أبنائه.

٤. جمع د/رجب بينه وبين أبنائه فى تصوير الألم فليس هناك انفعال ولا سلوك إلا كان مشاركاً لهم نابعاً من نفسه كما ينبع من نفوسهم، كما وقف موقف العاجز وكأنه طفل مثل أبنائه، أما الشاعر عزيز أباظة فقد كان مستقلا بنفسه وبحزنه عن أولاده لذا قال:

لا تقيســـوا بـــأبيكم شـــانكم المقـــاييس بيننـــا مختلفـــات [١]

٥. استطاع د/رجب أن يكون واقعياً، فقد نسج تجربته من الأحداث اليومية، لذا كان أكثر ذكراً لها فى كل وقت وحين، أما الشاعر عزيز أباظة فقد كان يذكرها فى المناسبات السنوية كأعياد ميلاد أولاده.

(١) أنات حائرة ص ٩٤.

المبحث الثالث

الموت والحكمة

ما من شاعر تناول موضوع الرثاء إلا عرض لفلسفة الموت والحياة، والفناء والبقاء، وصور فجيعته وألمه فى صورة باكية محزنة تفيض بالاستسلام والخضوع، والاقرار بقوة الموت، ولكن لكل شاعر طبيعته التى تميزه عن غيره من الشعراء، تبعاً لمدى عمقه العقلى والفكرى لتصور الأشياء والتفاعل مع الأحداث، فهناك من يغلبه الأسى فيرى الموت وحشاً شرساً لا تقدر عليه قوى البشر، فهذا أبو ذؤيب الهذلى يقول:

وَإذا المَنِيَّـــةُ أَنشَـــبَت أَظفارَهـــا ألفَيــتَ كُــلَّ تَميمَــةٍ لا تَنفَــعُ(١)

وهناك من يعبر عن الموت بصورة تفيض بالعمق الفلسفى، فنرى أبا العلا المعرى يقول:

صَاحِ هَذِي قُبُورُنا تَمْلأ الرُّحْـ خَفّفِ (م) ـبَ فـأينَ القُبُـورُ مِـنْ عَهـدِ عـادِ
الـــوَطْء مـــا أظُـــنّ أدِيـــمَ ال (م) أرْضِ إلاّ مِــنْ هَــذِهِ الأجْســادِ (٢)

فإذا كان الشاعران قد كشف عن فكرة الاستسلام للموت الذى لا مفر منه فإنها اختلفا فى المعالجة فأبوذؤيب يبكى بكاء الثكلى ويجهش حرقة على بنيه، مؤكداً عبثية التمائم (الطب) أمام قوة الموت، أما المعرى فقد استطاع أن يخلق تقابلاً حاداً بين عنصرى الكون (الحياة والفناء) يقتضى تقابلهما فناء الحياة فى الموت حين جعل تراب الأرض رفات الأجساد، فكلا الشاعرين عبر عن الاستسلام والخضوع ولكن لكل سبيله الذى أنبأ عن شخصيته، وقد عالج شاعرانا قضية الموت والحياة فى قصائد رثاء الزوجة، وسوف يوضح البحث ملامح الاختلاف بين شاعرينا فى نظرته للموت.

---

(١) المفضليات للمفضل الضبى ص٤٢٢ تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون.طبعة دار المعارف الطبعة السابعة

(٢) سقط الزند للمعرى ص ٧ دار صادر بيروت سنة ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.

أولاً : عزيز أباظة

إذ نظرنا إلى الشاعر عزيز أباظة نجده يعبر عن فجيعته ويتحدث عن الموت كوحش كاسر لا يغلبه إنسان لذا جاء أسلوبه عاطفياً لا يحمل عمقاً وإنما يردد ما يقوله الناس حين يفجعون فيقول :

وكل عمر فمصروف إلى أجل وكل أنس فمردود لميعاد
وكل من حملته الأرض بالغة به مثاوى آباد وأجداد
ويح ابن حواء والدنيا تساوره بالشر من طامع فى العمر مزداد
أما درى وهو هاوٍ فى مباذله وسادر فى هواه أنه راد
ما فسحة العيش إلا لمحة عرضت ثم انطوت بين آماد وآباد (١)

ثم يبين أن الحياة الدنيا متاع الغرور وأنها زائلة فلا داعى للطمع، ولن ينال الإنسان شيئاً منها، وما الحياة إلا لمحة خاطفة سرعان ما تنتهى، وهذه كلها معان يرددها العامة عند نزول الموت.

وقد اعتمد عزيز أباظة فى تشكيل رؤيته الشعرية حول هذا المعنى على مصدرين : الأول : القرآن الكريم فى قوله: ما فسحة العيش إلا لمحة عرضت.... وهو من قوله تعالى: **[كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها]** سورة النازعات (٤٦)

الثانى: الثقافة العامة فعزيز أباظة يستلهم الموروث الشعبى فى سطحيته حين قال: أما درى وهو.....البيت وهو معنى يتناوله العامة ويرددونه دائماً عند الموت، وهذا يدل على أن رؤيته للموت سطحية وأكثر سهولة لا تعقيد فيها.

كما استلهم الشعر أيضاً فنرى المعنى الذى عرضه أبو ذؤيب حول عدم جدوى التمائم يظهر فى مراثى عزيز أباظة فيقول :

وإن حم القضاء فلا أساة فقد يجرى القضا بيد الأساة (٢)

(١) أنات حائرة ص ١٩-٢٠.
(٢) أنات حائرة ص ٥٠.

وهو نفس المعنى الذى عرضه أبو ذؤيب غير أن أبا ذؤيب كان أبرع فى الصياغة التصويرية الخلابة من خلال الاستعارة المكنية، وصورة المنية المتجسدة فى وحش مفترس، أما عزيز أباظة فقد كشف عن عجز الأطباء، وزاد بأن جعل الطبيب نفسه قد يقدم الموت للمريض، وهذا جعل معناه أكثر سذاجة.

وتظل الرؤية الساذجة تطارد عزيز أباظة فى قصائده فيعبر عن زيف الحياة وفناء زخارفها فيقول :

ألم تعلما أن هذى الدنا ... رؤى كاذبات ألم تعلما
طيوف تمر وخلق يكر ... ويمضى كاخيلة السينما
ومن شارف الحين مستأخرا ... كمن شارف الحين مستقدما (١)

وهذه المعانى حقيقة واقعية يقر بها كل البشر ولا ينكر أحد إيمانه العميق بها، ولكنها سطحية لا تنهض أن تشكل عمقاً فلسفياً يميز الشاعر ويجعله يستبطن أعماق الأمور ويكشف أغوارها، خاصة فى مثل هذه المواقف المؤلمة.

وفى موقف الوداع تتجلى الطبائع بصورة صادقة، وقد ظهرت مباشرة حتى بلغت درجة السذاجة عند عزيز أباظة حين وقف على قبر زوجه، فقد وقف كما يقف المحبون العاشقون، فيقول :

أإن بعد الأحباب أعرضت عنهمو ... كما أعرضوا أم زائر فمسلم
دعانى لها الشوق الدخيل وهزنى ... إلى المضجع الأسنى حنين مكتم
أفضت لها حتى إذا جئت شفنى ... تهيب أواه يهيم ويحجم
فلا أنا أسطيع القفول فأنثنى ... ولا أنا أسطيع المثول فأقدم (٢)

أهذه وقفة محب يقف على قبر زوجه ؟! أم وقفة محب يشرف على أطلال ديار محبوبته ؟ لا نستطيع أن نفرق بين الموقفين، وأستشعر أن عاطفته فى الأبيات كانت فاترة، وإلا لماذا قال فمسلم بعد زائر ؟ إنها القافية التى دفعته لهذا اللفظ دفعاً، أصارت علاقته بها مجرد السلام؟! والأبيات تخلو من أية إشارة إلى أنها محبة طواها الثرى، أو

(١) أنات حائرة ص ١٠٦
(٢) أنات حائرة ص ٢٨.

شاعر يتأمل الموت والحياة، خاصة وأنه يقف على قبر زوجه، وهذا كله يؤكد أن نظرة عزيز أباظة للموت كانت سطحية عاطفية، فوقفته وقفة العاشقين الذين فرقت بينهم الأيام. وربما كان الدافع لهذا الشعور عند عزيز أباظة أنه رغم رحيل زوجه أن ظل يأمل أن يلتقى بها فى عهد قريب، بدليل أنه دعا أبناءه إلى الصبر الذى لا يراه دواء له، فيقول :

أبنـى قـد حـم القضـاء وحـل بـى ... وبكـم ملـم فـى الكـوارث مطبـق
لـم أنسـكم عـانين صـرعى حولهـا ... وقلـوبكم مـن حسـرة تتشـقق
هـذى تفـديها وذاك يضـمها ... وأبـوكم الملقـى هنـاك المصـعق (١)

فتصويره للمشهد يكشف صورة الأبناء أكثر من صورته هو، وقد اكتفى بأن رسم نفسه مصعوقاً، فدعا الله أن تنالها رحمته وعفوه وأن يجمعه . سبحانه وتعالى . بها فى دار النعيم فيقول:

سـألت ربـى أن يعـز مقامهـا ... لديك ويسنى فى حماك مآبها (٢)

فكلمات عزيز أباظة تخلو من الحديث عن حقيقة الموت، وإنما كان يرجو أن يجمعه الله بها فى الدار الآخرة.

وقد كانت زوجة عزيز أباظة مصدر قوة إيمانية له، فكانت تدعوه إلى الخير فحين ذهب للحج . وكانت قد ماتت قبل أن تحقق أمنيتها فى الحج . وقف على قبور أهل البقيع وقال:

وأجهـش القلـب جهشـة بـالبقيع ... وتنـزى فـى ركنـه المصـدوع
ذكـر العهـد عهـد إلـف عزيـز ... عند عيش سمح وشمل جميع
فتلاقـى حنينـه وحنينـى ... وتبـارت دموعـه ودمـوعى
قـال لـى صاحبى رجعت إلـى البث (م) وشـيكاً ولات حـين رجـوع
قلـت دعنـى ألا تـرى العيش أقـوى ... يـوم أقـوت ممـن ألفـت ربـوعى
الصـروح التـى انقضضـن صـروحى ... والضـلوع التـى احترقن ضـلوعى
نبهـت هـذى القبـور جـوى الوجـد ... وهاجـت تبـاريح المفجـوع (٣)

(١) أنات حائرة ص ٨٠-٨١.
(٢) أنات حائرة ص ٩١.
(٣) أنات حائرة ص ١١١-١١٢.

فالأبيات تكشف عن أمله فى اللقاء، ولعل وقوفه على أهل البقيع ذكره بشيئين : الأول: طهارة زوجه وإيمانها الذى أوضحه وأشار إليه فى أكثر من قصيدة، والثانى: وقوفه على قبور أهل البقيع وذكره بزوجه التى كانت تأمل هذه الزيارة فى صحبته، وفكرة الصديق المرافق للشاعر هى فكرة قديمة شاعت فى الشعر قديما، وهو فى أغلب الأحوال ليس صديقاً حقيقياً وإنما هو تجريد من شخصه مما يدل على نزعته التقليدية، ولئن كان عزيز أباظة قد بكى زوجه حين وقف على قبور الصحابة فى البقيع، إلا أنه لم يشر إليها فى مرثيته لصديقاه عثمان أباظة وعبد العزيز أباظة، وقد فجع بهما متتابعين، وليس فى القصيدة أى إشارة إلى زوجه، رغم أنها من قصائد ديوان رثائه لزوجه، والقصيدة تتضمن الحديث عن كريم خلالهما وطيب ذكراهما، ولم يخرج فيها الشاعر عن معانى الرثاء التقليدية التى شاعت فى مراثى القدماء.

وبعد فقد كان عزيز أباظة سطحياً فى الحديث عن فلسفة الموت ولم يتناول الموضوع إلا من زاوية عاطفية تخلو من العمق الفكرى.

ثانياً: د/ رجب البيومى

أسهب د/بيومى فى توضيح صورة موت محبوبته، وبين أثر هذا على نفسه ورؤيته الفلسفية للموت، فقد كانت مأساته باعثاً لبعض المعانى التى تميز بها، وقد أجاد إجادة بالغة فى قصيدة له بعنوان : الموت يتكلم، فقد جسد فيها الموت تجسيداً رائعاً يكشف عن نزعة إيمانية إنسانية توجيهية أساسها تهذيب النفس وتقويم الأخلاق، وقد كتبها عام ١٩٤٥م، قبل وفاة زوجه، ونشرت بمجلة الرسالة وهى فى حقيقة الموت بصفة عامة، وتدل على تصوره للموت الذى فجع به بعد ذلك حين ماتت زوجه، والقصيدة قادرة على كشف التصور العقلى والنفسى للموت عند الشاعر.

وقد قامت هذه القصيدة على أفكار جدلية طرحها الموت على ابن آدم، فاستهل الشاعر القصيدة بمعنى يتردد فى الذهن حين يقرع الموت أبواب أحد من البشر، وما يصاحب هذا من فزع وخوف، فيكشف شاعرنا عن حقيقة هذا الفزع والخوف الواهية فيقول على لسان الموت:

يــامن يــراع إذا تمثــل صــورتى، فــيم ارتياعــك؟
هـون عليـك ففـى ابتعـادك عـن بنـى الـدنيا انتفاعـك

لك ضجعة عندى تريحك، هل سيؤذيك اضطجاعك؟(١)

فهو يوازن بين الحياة الدنيا ذات المنافع الزائلة وبين ضجعة الموت التى تريحه، ليصل إلى النظرية الحتمية فى الوجود وهى الموت، فالإنسان يظل يسبح فى دنياه بآلامها ليصل إلى غايته وهنا يصل إلى شاطىء الحياة وهو الموت، ويتسأل متعجباً، أيضر الملاح المتعب أن يصل إلى الشاطى ؟.

ثم يكشف عن نزعته الإيمانية الإسلامية حين يقرر بأن سيف الموت بيد الله تعالى العليم الذى يختار من يموت ومن يبقى لأجل، فيقول :

أنا فى الحياة كمنجل فى كف حصاد بصير(٢)

وقد كثرت الاتجاهات الفكرية التى تردد عبثية الموت، فيرون من يستحق الحياة . فى نظرهم . يموت ومن يستحق الموت . فى زعمهم . يعيش (٣)، لكن النزعة الإيمانية عند د/ بيومى جعلته يقول حصاد بصير.

ثم يعرض مشاهد للموت حين يقطف الأزهار، ولولا هذا لامتلأ الروض بكثير من الأزهار، وأن الموت راحة من آلام المرض، ولا ينسى هذا النفر من الناس الذين يأتيهم الموت وهم يعيثون فى الأرض فساداوظلما، وأنهم يقضون حياتهم آثمين.

ثم ينتقل إلى معنى أخر يصف فيه القبر وأنه أذكى وأطيب من العطور ؛ لأنه هو الدار الباقية فيقول :

تـــالله مـــا قصـــر تخـــر لحســـنه شـــم الجبـــاه
قـــد حفـــه روض أنيـــق يمـــل الـــدنيا شـــذاه
أزكـــى ترابـــاً مـــن ضـــريح تـــاه فـــى جـــوف الفـــلاة(٤)

---

(١) حصاد الدمع ص ١١٧
(٢) حصاد الدمع ص ١١٨
(٣) كتب يوسف السباعى روايته نائب عزرائيل حول هذا المعنى الفاسد معترضاً على حكمة الله فى الموت والحياة لمن يشاء ومتى يشاء.
(٤) حصاد الدمع ص ١١٨

وهذا يعمق روح التشاؤم فى نفس الشاعر، وتتجلى نزعة التشاؤم أكثر حين جعل جمع الجنازة أفضل من جمع العرس، وأن ثوب الكفن أفضل من ثوب الزواج، وأن الموت فى كل حالاته راحة للإنسان.

والقصيدة تتسم بنزعتين، الأولى : إيمانية إسلامية، وظهر ذلك فى حديثة عن أن يد الموت تختار بدقة وبصيرة، والثانية : تتمثل فى التشاؤم الذى ساد فى أغلب القصيدة، وخاصة عند تمنى الموت.

ولكن بعد أن فجع د/ بيومى بوفاة زوجه خاطب الموت فى قصيدة أخرى قائلاً :

أو صرت تهوى الموت تلك قضية نهض الدليل بها فلا إنكار؟ (١)

فيرى الموت يختار الحسان، وله قصيدة أخرى بعنوان الموت العاشق جعل فيها الموت عاشقاً يختار أحسن الناس وأفضلهم، فيقول :

صح عندى أن المنية تهوى مثل أهل الغرام كل جميل
قد تتعت خطوها فتراءت صبوات الردى بكل سبيل
قد شهدنا أهل الجمال لدينا أسرع الناس دائماً فى الرحيل
وإذا لم يكن هوى الموت فيهم فهو أمر يحتاج للتعليل
أترك الناس وأشهد الروض تبصر خير أزهاره وشيك الذبول
أترك الروض وأشهد الأفق تدرك أن أبهى النجوم رهن الأفول
ينكر العقل ما أقول وعندى من مآسى الجمال ألف دليل (٢)

وهى أبيات تكشف عن نزعة متشائمة شديدة فقد كان يتحدث عن الموت من قبل بلسان الحكيم أما وقد صار فى الماساة فيتحدث بلسان المكلوم، لذا تشاءم من الحياة وظهرت عاطفة الاستسلام قوية جلية.

وقد أبدع د/ بيومى حين جسد الموت فى صورة مشرقة وكأنه يعرض نفسه لبنى آدم، فالشاعر يتمنى الموت الذى يجمعه بزوجه الراحلة ويزدرى الحياة الدنيا، فيقول:

---

(١) حصاد الدمع ص١٦.
(٢) حصاد الدمع ص٨٩.

قد فقدت الإحساس بالصبح والنور فـــويلى كـــأننى مـــت حيـــا
أمحـــق أنـــا؟ ســـالت ضـــميرى فـــأرانى صـــواب حزنـــى جليـــا
ســـلبتنى الحيـــاة بهجـــة أنســـى لـــم لا أزدرى الحيـــاة الـــدنيا (١)

وحتى عندما تتوق نفسه إلى لقائها ورؤيتها يقول:

لا تغـــب أيهـــا المحيـــا الجميـــل إن حزنـــى عليـــك مـــر ثقيـــل (٢)

ولكن سرعان ما يدب اليأس فى نفسه ويقر بالحقيقة، فيقول :

فارقونـــا وباطـــل أن يعـــودوا كيـف واراهمـو المكـان البعيـد (٣)

وهو يحاول أن يلتمس الطرق التى تساعده من أجل نسيانها ومواصلة الحياة مع أبنائه فيغير منزله الذى كان يسكنه فى (السعودية)ولكن دون جدوى فالألم يقطع قلبه، فيقول:

منزلـى غيـر منـزل الأمـس لكـن ماشـــفانى تغييـــره داخليـــاً (٤)

ويبرر تمسكه بالحياة بأنه يحافظ عليهم فيقول:

برمـــا بالحيـــاة لـــولا ارتبـــاطى بعيـالى لقلـت يـا مـوت هيـا (٥)

وبهذا يشترك د /بيومى وعزيز أباظة فى أنهما أقبلا على الموت عسى أن يلتقى كل منهما بزوجه، ولكن د/بيومى كان أعمق فى فهمه للموت وكان أكثر تجسيداً له من عزيز أباظة.

ونرى الشاعر رجب البيومى يتحد مع القبر، قبر زوجه فيقول :

أرى قبـرك السـاجى فـأجهش واجمـاً وقـــد ملكتنـــى رعـــدة ووجيـــب
لـــئن يـــك وارى منـــك هيكـــل فتنـــة لقـــد حملتـــه أضـــلع وقلـــوب (٦)

---

(١) حصاد الدمع ص ٥٥
(٢) حصاد الدمع ص ٧٣
(٣) حصاد الدمع ص ١٠٩
(٤) حصاد الدمع ص٦٠
(٥) حصاد الدمع ص ٥٤
(٦) حصاد الدمع ص ٦٥

وهذا الاتحاد مع قبرها يكشف عن تلازم روحى بينه وبين زوجه، فهى ساكنة فى فؤاده فجسدها فى القبر وروحها بين أضلعه.

ومواقف الموت تذكر الشاعر بها فالشجن يبعث الشجن، ولئن كان الشاعر عزيز أباظة لم يذكر زوجه حين رثى صديقاه فان الشاعر بيومى كان بارعاً فى الحديث عنها حين رثى صديقاً له، وذلك من ناحيتين الأولى أن القصيدة اتسمت بالإشراق والجمال حين جعل زوجه تمرح فى الجنان فقال :

أنـا فـى الفـردوس أحيـا فـى رضـا علـوى مـا الـذى ينقصـنى
أنـا فـى الجنـة طـل وشـذى وعلـى الأيكـة طيـر الفـنن
أنـا فـى البـدر ضـياء فارتقـب مشـرق البـدر لكـى تشـهدنى
أنـا فـى النهـر رحيـق فارتشـف منـه كـى تطفـىء لفـح الشـجن (١)

الأمر الثانى : أن صديقه (المرثى) كان بريد خير إلى زوجه فقد نقل إليها أحاديث الشوق الذى كان يرددها ويقصها عليه فى غدوهما ورواحهما، فيقول :

ليتنـى حـدثت (معروف)بمـا كـان فـى نفسـى ولـم أختـرن
صـار للأخـرى بريـدا ليتنـى زدت فيمـا قلـت كـى تعـذرنى (٢)

وهـى قصـيدة تجمـع بـين التـذكر والأمـل فقـد تـذكر سـالف عهـده بهـا وأيـام أنسـه بوجودها، وتخيل . أملاً فى ثواب الله . أن يعطف الله عليها جل فى علاه بالجنان تمرح فيها.

وقد تذكر زوجه فى مواقف مختلفة فقد كتب قصيدة فى رثاء الشابة : (رجاء محمد سبع) ابنة الكاتب الإسلامى الأستاذ (توفيق محمد سبع) والقصيدة بعنوان(رجاء وعصمت) يقصد زوجه، وقد كان الدافع لكتابة هذه القصيدة أن هذه الشابة رجاء ماتت فى ظروف مشابهة للظروف التى ماتت فيها زوجه.

(١) حصاد الدمع ص ٧١
(٢) حصاد الدمع ص ٧٢

ومما هو جدير بالذكر أنه كتب قصيدتين فى العاهل الهندى (شاهجهان) الذى جزع لفراق زوجه طيلة حياته وبنى لها أجمل ضريح فى العالم (تاج محل)، وفيهما يسلط الضوء على حقيقة الموت، ورغم أن القصيدتين كتبتا قبل وفاة زوجه إلا أنهما يكشفان عن رؤيته للموت حين يكون للزوجة.

ثالثاً : بين الشاعرين

نستطيع أن نوازن بين الشاعرين فى رؤيتهما لحقيقة الموت من خلال فكرتين رئيستين.

الأولى: الموت فى تصورهما، فقد كان عزيز أباظة ود/ بيومى يتمنيان الموت بعد فراق الزوجة، وقد كان عزيز أباظة أكثر سطحية وسهولة فى أفكاره ومعانيه، ولم يتعمق معنى ما وراء الموت، ولم يبحث بفكره عن حقيقة الموت واكتشاف الحكمة فيه، ولا أسباب اختيار الله تعالى لمن نحبهم أو من يمتعون حياتنا، بل كان سطحياً تقريراً وكان الموت بالنسبة له سيف قدرى يذعن الشاعر له فى استسلام، وكذلك الدكتور رجب البيومى تجلت فى كلماته نزعة الاستسلام، ولم يبحث عن علة وراء اختيار الموت لزوجه، ولكنه جسد الموت فى صورة إنسان يتحدث ويناقش ويشرح وظهر كآلة قوية تحصد البشر ولكنها تريح من آلام الحياة، أما عزيز أباظة فقد جعله وحشاً كاسراً يفرق بين الأحبة، وربما كان السبب فى ذلك أن الدكتور/ رجب كتب أغلب القصائد التى تناول فيها حقيقة الموت قبل وفاة زوجه، وأنه كان يعالج الموضوع بصور عقلية؛ لذا رأينا فى قصيدة الموت يتكلم يعطينا مبرراً عقليا علمياً حول الموت، فيقول:

لولا مبادرتى لضاق الروض بالعدد الكثير (١)

وكأن الموت فى نظره طبيعة كونية(توازن بيئى) لكى تستمر الحياة، وهذا قد يفسر سبب موت الآحياء لا سبب موت الزوجة الحبيبة، وكلا الشاعرين نسى أن هذه الحياة دار اختبار وابتلاء وأنها حين تتزين لأحد تكون قد خرجت عن طبيعتها فترد الإنسان إلى عقله بالموت فيدرك أنها ليست دار الخلود والبقاء وإنما هى دار اختبار وابتلاء وليعلم أن ما فيها من نعيم إنما هو متاع الغرور (وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور) سورة آل عمران ١٨٥

(١) حصاد الدمع ص ١١٨

الأمر الثانى : أن الشاعرعزيز بكى زوجه حين وقف على قبور أهل البقيع، أما د/ بيومى فقد كتب قصيدة فى رثاء صديق له اسمه معروف كان يصادفه فى طريقه وكان الشاعر يمل منه فى بعض الأوقات فيرسل الحديث معه على سجيته فكان دائماً ما يحدثه عن زوجه وأيامها معه وفجاة مات هذا الصديق فبكاه الشاعر وتمنى لو أكثر من حديثه معه حتى يكون رسولاً إليها، وقصيدة عزيز أباظة اتسمت بالإحساس الروحى الجميل أما قصيدة د/ رجب فقد اتسمت بالنزعة الدرامية الحوارية، لذا كانت أكثر حيوية وجمالاً وتعبيراً عن روحه المتطلعة لصحبة زوجه الفقيدة.

المبحث الرابع

بين الماضى والحاضر

من أهم المعانى التى تناولها شاعرينا الكشف عن المفارقة البعيدة بين الماضى والحاضر، بين الأيام التى كان يعيش فيها فى ظلال حب زوجه والأيام التى عاش فيها فى ظلال غيوم الآلام والأحزان بعد فراقها، وهو معنى شائع متداول فى مثل هذا الموقف، بل إنه من المعانى الشائعة فى شعر الغزل ومعانى الشوق والحنين، فلفظ كان بمشتقاته يتردد فى شعر الأسى والحنين على لسان الشاعر الذى ذاق مرارة الحرمان من زوجه الحبيبة بعدما نعم معها بحلاوة العيش، وسوف يتناول البحث هذا المعنى عند شاعرينا.

أولاً: عزيز أباظة

لعل أول ما يطالعنا به الشاعر عزيز أباظة فى حديثه عن ذكريات الماضى تصويره أيام الصبا حين كانا طفلين بريئين وقد امتلأت حياتهم بالوداعة، فيقول :

إنـى وقفـت بـ(ميت غمـر)سـاعة ... فتجمـــع الماضـــى ولاح أمـــامى
وتـــراءت الأطيـــاف وهـــى بعيـــدة ... كـالبرق عـارض مـن وراء غمـام
وتـــدانت الأعـــوام تنشـــر ماضـــياً ... خضـــلاً طوتـــه ســـوالف الأعـــوام
وتوالـــت الصـــور البواســـم طلقـــة ... تـــروى أحاديـــث الصـــبا البســـام
إذ نحـن فـى ورد الحيـاة وخمرهـا ... كـالروض بـين المـاء والأنسـام
والعـيش ثـم كأنـه قبـل النـدى ... حملـت تحايـا الفجـر للأكمـام
أيـام نمـرح فـى صـبا وصـبابة ... موصـــولة الصـــبوات والايـــام
إلفـــان مؤتلفـــان نامـــت عنهمـــا ... غيـر الزمـان وهـن غيـر نيـام (١)

وهذه القصيدة تقوم على التذكر والاسترجاع لأيام الصبا برقتها وبراءتها، واستخدم فيها عناصر الطبيعة السمحة الرقيقة كى تناسب حالة البراءة التى كانت تجمعهما، فنرى ورد الحيـاة.. الروض..الماء..الأنسـام..قُبـل النـدى..تحايا الفجـر..الأكمـام.. مـروج الصبا...إلفان مؤتلفان..وكلها كلمات تكشف عن عمق إحساسه بروعة الماضى واشتياقه لتلك الأيام الجميلة التى جمعتهما، وربما كانت زيارته لمدينة ميت غمر سبباً فى تذكره هذا

(١) أنات حائرة ص ٣٢-٣٣

الماضى وإثارة كوامن الشعور فى نفسه، والقصيدة تقوم على استدعاء الماضى، ومحاولة نسيان الحاضر المؤلم.

ولعزيز أباظة قصيدة أخرى بعنوان ذكريات، يسترجع فيها الماضى السعيد الذى كان يجمعهما، ويؤكد فى هذه القصيدة على مرحلة الصبا والطفولة التى كانت تجمعهما ويربط بين هذه المرحلة والطبيعة فيرى رقتها وبراءتها مناسبة تماماً لهذه الطبيعة الساحرة الحالمة، فيقول:

أراكِ كمـــا رأيتـــك حـــين كنـــا على حرم الصبا نضحى ونمسى
نـــذوق رحيقـــه طفلـــين شـــبا علـــى ود وخالصـــة وقـــدس
هنـــاك علـــى ملاعـــب ضـــاحكات وســام لـم يُـرعن بيـوم وكـس (١)

فقد كانت أيام الصبا طاهرة نقية فهى أيام الود وتتسم بقدسية الترابط، أيام لم تفزعها المصائب ولم تكدرها نوائب الزمان، وقد تجلى إحساس الشاعر بهذه الأيام حين جعل لهذه الأيام رحيقاً عطرياً يتنفسه هو وزوجه، وتذكُر الشاعر لأيام صباه فى ظلال الطبيعة كشف عن جانب كبير من الرقة والجمال فى علاقته بزوجه، هذا أول جانب من جوانب استدعاء الماضى عنده وهو استدعاء لمرحلة الطفولة.

ويتذكر زوجه بعد زواجهما رقيقة الإحساس بشوشة الوجه فيقول:

حلـــت عليـــك شـــقيقة فصـــديقة فحليلـــة تهـــب الرفـــاء فتغـــدق
مـــدت عليـــك ظـــلال أنـــس نـــاعم فـــإذا حياتـــك بســـمة تتـــألق
العـــيش ينـــدى والبشاشـــة طلقـــة والأنـــس ســـكب والمنـــى تتحقـــق (٢)

وإن كانت عاطفة الشاعر فى حديثه عن أيام الطفولة امتازت بالرقة، فحديثه عنها فى ظلال زواجهما تمتزج فيه روح الرقة والرومانسية بعاطفة أكثر مادية باعتبارها زوجه، وتتضح هذه المادية فى حديثه عن مرحلة زواجهما خاصة حين يستدعى مواقف مادية ربما تكون من مسؤلياتها، فيقول:

---

(١) أنات حائرة ص ٤٢
(٢) أنات حائرة ص ٧٩

تـــذكرنيك أشـــياء اراهـــا فينشـطر الفـؤاد لـــه انشـطارا
إذا قمنـــا لمائـــدة مســـاء وإن قمنـــا لمائـــدة نهـــارا
يطالعنـــا مكانـــك وهـــو خـــال فنبتـــدر الـــدموع لـــه ابتـــدارا
نحـــيط بـــه فنوســـعه حنينـــاً وتقديســـاً لـــذكرك وادكـــارا
وما يفرى فؤاد أب حزين كأطفـــال لـــه نكبـــوا صـــغارا (١)

فقد كانت أنس البيت، والحانية على أبنائها، ويتذكر أيام رمضان وأنهما يجتمعان فى ود وألفة، فيقول:

رمضـــان ويحـــك ذكرياتـــك جمـــة والـــذكريات ذخيـــرة المحـــزون
كانـــت تطالعنـــا لياليـــك التـــى ســـلفت بـــأيمن عـــارض وجبـــين
وتردنـــا لهـــوى الصـــبا وجنونـــه وهـو الصبا سقط بغير جنـون (٢)

والشاعر فى هذه القصائد يسترجع الماضى السعيد الذى كان يجمعهما، ولا يكشف عن بؤسه بعدها وفراقها لهم الا فى إشارات خاطفة، ولكنه استطاع فى قصائد أخرى أن يوازن بين الماضى والحاضر بصورة أوضح، خاصة فى المناسبات التى كانت تشرق فيها فى البيت ففى ذكرى ميلاد ابنه يقول فى قصيدة بعنوان يوم ميلادك يا بنى:

يـــوم مـــيلادك يـــا بنـــى عـــادنى وهـــو عيـــد بالأســـى والحســـرات
مـــلأ الـــنفس شـــجونا وجـــوى وهـــى مـــلأى وآثـــار الـــذكريات
كيـــف رُضْـــتَ الـــنفس فاســـتقبلته يـــا وقـــاك الله شـــر النائبـــات (٣)

فكأن الشاعر يتحدث عن يوم من أيام البؤس وليس يوما للسرور والفرح، فكيف يفرح وقد فارقته من كانت تملأ البيت مرحا وسعادة فى مثل هذه المناسبات، ثم يقابل هذه الصورة البائسة للحاضر بصورة مشرقة للماضى حين كانت زوجه تملأ حياتهم سروراً وبهجة، فيقول:

(١) أنات حائرة ص ٤٤
(٢) أنات حائرة ص ٥٢
(٣) أنات حائرة ص ٩٢

رب عيـد لـك مـن عـام مضـى جمـع السـعد وضـم البشـريات
حـل لمـاح السـنى مؤتلفـا مشـرق الوجـه وسـيم القسـمات
فـإذا البيـت مضـيء باسـم كالسـماء ازَّيَّنـت بـالنيرات (١)

ويقارن بين الماضى والحاضر فى قصيدة أخرى فيقول:

قد ذقت بعدك يتما حز فى كبدى وذاقـه فـى ربيـع السـن أكبـادى
كنـا علـى أيكـة الـدنيا ورفرفهـا نختـال فـى نشوة منهـا وإسعاد (٢)

فهو يشاطر أبناءه اليتم، فالأسى والحزن الذى فى عيونهم فى قلبه هو أيضا، فى حين أنهما عاشا من قبل يلهيان ويستمتعان، ففى البيت الأول نرى يتماً.. حز فى كبدى.. ذاقه.. ربيع السن.. أكبادى. وفى المقابل نرى البيت الثانى ببشاشته فى قوله: أيكة الدنيا.. رفرفها.. نختال.. نشوة.. إسعاد.فالبيتان يكشفان عن تبدل الأحول من السعادة إلى الشقاء.

وللشاعر قصيدة بعنوان ليلة وليلة يقارن فيها بين ليلة زفافه وذكرى هذه الليلة بعد أن ماتت زوجه، وهو يكشف فيها عن فداحة المصاب وجلل الخطب فيقول مصوراً ليلة العرس والسعادة التى ذاقها فى هذه الليلة :

يا ليلة جمعتنا بعد طول نوى ذكـراك هاجـت لنـا الأشـجان ألوانـا
ذكرت ما كان من عرس جلوت به علـى أكـرم خلـق الله إنسـانا
بيضاء هيفاء تحكى الصبح مؤتلقاً والـروض متسـقا والبـان ريانـا
بتنا تضيء ظلام الليل نشوتنا وتسـتثير شـجون الليـل نجوانـا
قالت وقلت فلم تفرغ مقالتنا إلـى الصـباح ولـم تهـدأ شـكوانا
وحولنا الليل يطوى فى غلائله وتحـت أعطافـه نشـوى ونشـوانا
فما رأى قبلنا إلفين قد فنيا وجـدا وذابـا تباريحـاً وتحنانـا
نكاد من بهجة اللقيا وروعتها ترى الـدنا أيكـة والـدهر بسـتانا (٣)

(١) أنات حائرة ص ٩٢
(٢) أنات حائرة ص ٢٠
(٣) أنات حائرة ص ١٠٠-١٠١

ويظل عزيز أباظة يستطرد فى وصف هذه الليلة، وكأنه يستمتع بترديد مشهد السعادة التى ملأت قلبه وقلبها، ولا يعدم الموقف أن يصف جمالها الحسى، وأيضا يمزج بين جمالها وبين الطبيعة فى صورة من البهجة والسرور، ، وقد استخدم الشاعر الرموز التى تكشف عن مشاعر الألفة والحب مثل (تحت أعطافه نشوى ونشوانا)، ثم يقابل هذه الصورة بصورة أخرى فى ذكرى زواجهما وكان ذلك بعد وفاتها فيقول :

قد كنت فيما مضى أنساً نطيب به ... نفساً فأمسيت أوصابا وأشجانا
أضنيت أسوان ما ترقى مدامعه ... وهجت فوق حشايا السهد حيرانا
يبيت يودع سمح الليل عاطفة ... ضاق النهار بها سترا وكتمانا
ويرسل الشجو فى سر الدجى حرقا ... لو الدجى قُدّ من صخر إذن لانا
وأدمعا من حنايا القلب ساكبة ... وقد يدمع القلب دون العين أحيانا
أشكو على الله باساً ما أطيق له ... حملا وبثاً وأحزانا وحرمانا (١)

فالليل الذى كان يواريهما بجناحيه ويعطف عليهما فى رقة وحنان أصبح جليساً للشاعر يبثه أحزانه وآلامه التى يعجز أن يصرح بها فى وضح النهار، وهذا يعكس جانباً من شخصية عزيز أباظة الذى ظهر أمام الناس صابراً قوياً بعد وفاة زوجه، ولكنه فى الليل يبكى ويتألم ويتحرق شوقاً إليها، وقد سلط الضوء على بكاء القلب أكثر من بكاء العين، وهذا يؤكد تجلده أمام الناس وضعفه حين يخلو بنفسه، وقد جعل شكواه لله عز وجل، ويساله سبحانه وتعالى أن يخفف عنه ما يجد من ألم، والأبيات تمتلىء بكلمات الحزن فى مقابلة كلمات السرور التى امتلت بها الأبيات فى أول القصيدة، مما يدل على أنه استطاع أن يقابل مقابلة مبدعة بين الماضى والحاضر.

وهكذا نرى عزيز أباظة استطاع أن يقارن بين حالة الحب وحالة البؤس ولكنه كان أكثر تأكيدا وترديداً لآلامه وأحزانه.

ثانياً: د/رجب البيومى

ظهرت المقارنة بين الماضى والحاضر عند د/ بيومى فى تضاعيف قصائده، واعتمد على رسم المفارقة بين الحالتين على جوانب فكرية مادية وأخرى معنوية، فيرسم

(١) أنات حائرة ص ١٠٢

صورة الإشراق والوئام والحنان التى كانت تغمر البيت من قبل، وصورة البؤس الذى هو عليه اليوم فيقول :

أقـارن بـين الأمـس واليـوم باكيـا لخطب ترامى بى من الضد للضد
فـأين بهـاء الأمسـيات رقيقـة؟ تـأرج بـالنعمى وتنضـر بـالود
تـلألأ فـى عينـى بهيجـاً رواؤهـا كمـا لألأ الطـل النثيـر علـى الـورد
حنـان يحيـل البـرد دفئـا محببـا فلسنا به نحتاج فى البرد للوقد (١)

فقد أوجز الفرق بين الحالتين فى صورة سريعة مجملة فى أول بيت حيث انتقلت به الحياة من الضد إلى الضد، ويعزى نفسه بترديد ذكريات السعادة والهناء فى ظلال زوجه فى صورة تجسيدية بديعة فجعل حديثها ومجلسها يفوح بالرائحة الطيبة، والنعيم لا رائحة له وكذلك الود لا لون له ولا نضارة، ولكنه جمع فى الصورة عناصر متنوعة من اللون والحركة والرائحة والصوت تكشف عن جمال هذا العهد وكأن حياتهما حديقة من الأزهار المتفتحة، وهى صورة جميلة ربط فيها الشاعر بين محبوبته والطبيعة، ثم إنه جعل حنانها فى البيت يغمرهم فى قسوة البرد، ويظل على هذا النحو إلى أن ينتقل إلى حاضره البئيس الذى انتقل بحاله من الضد للضد. كما قال . فيقول :

تمـر الليـالى لسـت أنسـى وفاءهـا وإقبالها نحوى بما طاب من رغد
فيا حسرة الحى المعذب فى الورى ويا نعمة الميت الممتع بالخلد (٢)

فيتمنى اللحاق بها عساه أن يعيش معها فى جنة الخلد كما عاش معها فى الدنيا.

(١) حصاد الدمع ص ٣٥
(٢) حصاد الدمع ص ٣٧

وفى قصيدة (وازوجاه) يقارن بين الماضى والحاضر، فيقول:

بعـد أن كنـت كـل شـيء لـديا كيـف بـالله تبعـدين عليـا؟
وكنـت تشـكين إن تغيبـت وقتـا أفيغـدوا فراقنـا أبـديا؟!
إن تـأخرت بعـض وقـت تعجلـت فأرسـلت مـن يخـف إليـا
كنـت ألقـاك بكـرة وعشـيا أفيغـدوا بعادنـا سـرمديا؟! (١)

فالأبيات تصور ألمه وحزنه، وقد كرر المعنى بصورة واضحة فى دلالة منه على إحساسه العميق بالجرح، وقد استخدم مواقف واقعية تصور العلاقة بينهما وتكشف عن مدى ارتباطهما، فقد كانت تشكو غيابه وترسل فى طلبه ليكون بجانبها، وكان الأولى أن يصور تعلقه هو بها فهو أنسب للموقف.

وقد كان د/رجب أكثر مادية فى تصوير الماضى حين استخدم بعض المواقف الواقعية بينهما، فيصور مشهد الإفطار فيقول :

كانـت لـدى الإصـباح تـوقظنى
وتعـد إفطـارى وتطعمنـى
والآن أصـحو ولا يحـدثنى
غيـر الـذى يهتـاج فـى صـدرى(٢)

فهو يصور موقفاً مادياً وكأن ما يفتقده منها هو إعداد الطعام، ثم يعقب على هذه الأبيات مبيناً علاقته بالعمل فى ظلالها وبعد وفاتها فيقول :

قـد كنـت أسـعى نحـو جـامعتى
فرحـا أفـيض علـى تلامـذتى
فـإذا ذكـرت فـاتنتى
قصـدتها فـى سـرعة الطيـر

****

واليـوم إذ يـدعونى العمـل
يـنحط بـى الإعيـاء والكسـل

(١) حصاد الدمع ص ٥٣
(٢) حصاد الدمع ص ٤٩

أمضـــى بطيئـــاً حيـــث لا أمـــل
يـدعو إلـى الإسـراع فـى السـير (١)

وهذه كلها مواقف مادية، وللدكتور رجب البيومى قصيدة بعنوان : (ازدواج) يقارن فيها بين من يرحلون عن الحياة وبين من يقطنون الحياة الدنيا فيرى أن الموت أفضل وأنفع للناس فيقول :

الظـــاعنون وليـــتهم قطنـــوا والقـــاطنون وليـــتهم ظعنـــوا
صـــنوان لـــو لاقـــى بعيـــدهم وضـــع القريـــب لأمتـــع الـــزمن (٢)

فالذين ظعنوا كانوا هم الأمل لحياته، أما من عاشوا فقد جعلوا حياة الشاعر أسوأ وأكثر ألما له فيقول:

الظـــاعنون وفيهمـــو أمـــل فـــرد، ســـواه لـــدى ممـــتهن
هـــو مثـــل عينـــى أو أعـــز فـــإن أذكـــره فتـــت قلبـــى الشـــجن
غذيتـــه بـــدمى علـــى شـــغف فزهـــت حـــلاه وأورق الغصـــن (٣)

فزوجه أعز من عينيه ؛ لذا فقلبه مكلوم لفراقها ويقابل هذه الصورة الجميلة بصورة القاطنين ممن يضيق ذرعاً بوجودهم فيقول :

القـــاطنون وكـــل مندبـــة فـــيهم يضـــيق بخزيهـــا العطـــن
مثـــل الحديـــد وجـــوههم صـــلبت أحجـــارة هاتيـــك أم ســـحن؟
يتظرفـــون علـــى ســـماجتهم بمعابثـــات ريحهـــا عفـــن (٤)

والدكتور /بيومى يقابل بين حالتين ويردد معنى يردده كثير من الناس وهو طول أمد الحاقدين والحاسدين والسمجاء وقصر أمد المحبين، وهو شعور يردده كثير من الناس فى مثل هذه المواقف.

---

(١) حصاد الدمع ص ٤٩
(٢) حصاد الدمع ص ٨٢
(٣) حصاد الدمع ص ٨٢
(٤) حصاد الدمع ص ٨٣

هذه هى أهم ملامح الموازنة بين الماضى والحاضر فى مراثى الزوجة عند د/رجب البيومى.

ثالثاً : بين الشاعرين

كان الشاعرعزيز أباظة بارعاً فى المقارنة بين الماضى والحاضر، فاستطاع أن يسلط الضوء على جوانب روحية ونفسية تكشف عن ألم قلبه المكلوم، فكان اكثر عاطفة من د/بيومى الذى كان أكثر مادية، فسلط الضوء على أمور واقعية كانت تجمعهما، وقد تجلت نواحى العاطفة بصورة واضحة عند عزيز أباظة حين ربط بين جمالها وجمال الطبيعة السمحة الرقيقة واستطاع أن يوظف صوراً رائعة تساعده على رسم أحزانه مثل صورة الليل الذى كان أنيساً لهما ثم رفيقاً له يشاركه البث والحنين، فالجانب الروحى كان أعمق وأغزر عند عزيز أباظة.

كما لم يتعمق د/رجب وراء حدث ما أو موقف بعينه وإنما كان يعرض أحداثا عامة ومكررة كل يوم كذهابه لعمله وقلقها عليه وإعداد الطعام، أما عزيز أباظة فقد تحدث عن مواقف عميقة فى شعوره فتحدث عن ليلة الزفاف وذكراها موازنا بينهما، بما يكشف عن مشاعره فى الليلتين بدقة ومهارة.

وقد كان د/رجب مقلاً جدا فى شعره فى المقارنة بين الماضى والحاضر، أما عزيز أباظة فقد عمق هذا المعنى وأفرد له قصائد بعينها أهمها قصيدة (ليلة وليلة)، وقصيدة (يوم ميلادك يا بنى)، أما د /رجب فقد تحدث عن الماضى فى ظل الحديث عن واقعه البائس دون تعمق.

اهتم د/رجب بالعقل والحكمة حين تحدث عن ازدواج الحياة والموت وهذا يؤكد غلبة نزعة الحكمة عنده وغلبة الجانب الروحى عند عزيز أباظة.

المبحث الخامس

الزوجة بين الذكرى والنسيان

فراق الزوجة جرح مؤلم ولكن سرعان ما يتبدل الزمن وتتقلب الأحوال وينسى الإنسان زوجه الفقيدة، فينشغل بأولاده وحياته، لكن بعض الناس تظل الزوجة فى أعماق نفوسهم حتى ولو مرت السنون.

أولاً: عزيز أباظة

ظلت ذكرى زوجة عزيز أباظة عالقة فى نفسه مسيطرة عليه فى كل موقف فلا يلبث أن يتذكرها فى المواقف السعيدة والمؤلمة، وقد تسربت إلى نفسه الرغبة فى نسيانها عساه أن يسعد بحياته أو تقر نفسه وتهدأ فيقول :

لعلى إذا جئت المحصب من منى وطوفت بالبيت الحرام مفيق
مفيق من الخطب الذى جل إصره ألا كل خطب دونه لدقيق (١)

فهو يرجو أن يحج البيت ويسال الله تعالى أن يخفف ألمه، وأن يذهب عنه الحزن، وهى أمنيته التى جعل يدعو الله تعالى بها فى رحلة الحج، ولكن ما أن بدأ فى أداء المناسك حتى أخذت الذكريات تؤلمه وأصبحت زوجه رفيقة خياله، فيقول :

ذكرت التى كانت تمنى لو أنها ترامت إلى روض الرسول ركابها
دعتنى فلم أطلب وثنت فلم أجب فكان بكاء القانتات عتابها
وقلت لها فى قابل فتهللت فما إن دان حتى فجانا ذهابها
وددت بعينى لو أجبت طلابها وكان يسيراً أن يجاب طلابها (٢)

فهو يتمنى صحبتها معه فى هذه الرحلة وتمنى لو أنها عاشت حتى تتحق أمنيها بالحج، والأبيات يغلب عليها طابع الأسى والحزن لتفريطه فى تلبية رغبتها وتقصيره عن تحقيق أمنيتها ؛ لذا كانت رحلته للحج مجددة للآلام، ألم تقصيره فى تلبية رغبتها، وألم موتها قبل أن تحقق أمنيتها، وألم عدم صحبتها له، وهو وإن كان يأمل من الرحلة أن تكون برداً وسلاما لقلبه فينسى قليلا من الحزن الذى يمزق قلبه، أصبحت الرحلة سبباً

(١) أنات حائرة ص ٢٧
(٢) أنات حائرة ص ٩٠

لتذكر زوجه فى كل وقت وفى كل مشهد فكانت رفيقة خياله فى كل المناسك فيقول فى عرفات :

ذكرتـك يـوم النفـر والـدمع سـاجم علـــى عرفـــات والنـــزاع عـــرام
فـأجهش قلبـى جهشــة راح بعـدها وفيــه مــراح للضــنى ومســام (١)

ففى يوم عرفة يخلص الحجيج فى الدعاء إلى الله عز وجل ويخصون من يحبونهم بدعوات صادقة، وشاعرنا يبكى بقلبه قبل عينيه لعدم صحبتها له، فيقول:

بكيت لها إن لم تقف وقفة الرضا علــى عرفــات والحجـيج قيــام (٢)

ويؤكد على هذه الأمنية مرة أخرى حين يقف فى منى، فيقول :

ولمــا مررنــا بــالحجون وطالعــت سـوابق سـياراتنا الخيْـف مـن منـى
وقيل بلغتم مسجد الخيْف فاحبسوا وآن لضــيف الله أن يبلغــوا المنــى
ذكرتــك فــى أنــس وروح وغبطــة ومذ بنت لم أذكرك إلا على ضنى(٣)

فصورتها لا تفارقه وكأنها موجودة معه بجسدها، وتذكره لها يفيض بالحزن والألم والمعاناة، ويتذكرها أيضاً فى أيام التشريق فيقول :

ولقــد ذكرتــك فــى ثــلاث منــى بالمـــازمين فعقنـــى صـــبرى
همــت الــدموع وأجهشــت كبــدى وتـرنح المسـكين فـى صـدرى (٤)

والملاحظ أن عزيز أباظة كتب مجموعة من القصائد فى رحلته للحج . وسيفرد البحث مجالاً لدراسة هذا الموضوع فيما بعد ـ وكل هذه القصائد بدأها بذكر زوجه وحزنه لعدم صحبتها له، وهذا يدل على أن زوجه كانت مسيطرة على عقله ووجدانه، وقد تحولت رحلة الحج من محاولة للشفاء من آلام فراقها، إلى سبب لتجديد هذه الآلام والأحزان، ولعل أروع قصيدة تذكر فيها محبوبته وزوجه قصيدته (على قبر خديجة أم المؤمنين)، فيستهل القصيدة بالحديث عن جلال وبهاء قبر أم المؤمنين فيقول:

هــذا الجــلال لــه وهــذا الرونــق وهـو المسـوى بالصـعيد الملصـق

---

(١) أنات حائرة ص ٦٢
(٢) أنات حائرة ص ٦٣
(٣) أنات حائرة ص ٦٧
(٤) أنات حائرة ص ٧٠

قبــر تــراه فــلا تكــاد وربمــا ضَوِىَ الفتى وهو الأعز الأعرق
إن لـم يـرق للعـين فهـو مهابـة تعنـو لهـا نفـس ويخشـع مفـرق
جمـع الخلائـق فـى سـمو طرازهـا وفريـده هـذا الحفيـر الضـيق (١)

فهذا القبر قد جمع الطهر وسمو الأخلاق التى عرفتها البشرية فى النساء، ثم ينتقل إلى الحديث عن دورها فى الدعوة فيقول:

أنــت التــى كفــل النبــوة حبهــا وحنوهــا ووفاؤهــا المتــألق
آمنــت أول مــؤمن مســتوثق لله ذاك المــؤمن المســتوثق(٢)

ويظل يذكر صفات أم المؤمنين الكريمة وسمو أخلاقها ودورها فى مؤازرة الرسول ﴿ﷺ﴾ ويعرض كذلك لصفات الرسول﴿ﷺ﴾ إلى أن يصل فى النهاية إلى أن وقوفه على قبر السيدة خديجة ذكره بوقوفه على قبر زوجه، فيقول:

يــا روض أم المــؤمنين مطهــراً يهفـو لهـا غـرب وينـزع مشـرق
ذكرتنــى (بالربعمايــة) مضــجعاً بخديجــة أخــرى يــرف ويعبــق
فيهـا مشـابه مـن خديجـة جمـة والقــدوة العليــا تــرام فتلحــق
بــر وإيثــار وفضــل ســماحة وكــريم تضــحية ورأى أوثــق
وتمســك بــالعروة الثقــى علــم بهــا وتجمــل وترفــق
ونبالــة مســكوبة موروثــة عـزت فعززهـا نصـاب مُعـرقُ(٣)

فهو يجعل لزوجه من الخلال ما يجعلها طيبة الذكر فهى كالسيدة خديجة رضى الله عنها براً وإيثاراً وسماحة وتضحية وحكمة فى الرأى وثباتاً على القيم والأخلاق، ولا ينسى أن يتذكر أيام السعادة والفرح فى ظلال زوجه فيقول:

آنســتها مــلء النــواظر طفلــة الحسن فى قسماتها والرونق(٤)

---

(١) أنات حائرة ص ٧٢
(٢) أنات حائرة ص ٧٥
(٣) أنات حائرة ص ٧٧-٧٨
(٤) أنات حائرة ص ٧٨

ويستطرد فى وصف رحلة حياته مع زوجه بين أيام السعادة والشقاء مثلما استعرض من قبل فى القصيدة مؤازرة السيدة خديجة رضى الله عنها لرسول الله ﷺ، إلى أن يصل فى النهاية لأن يذكر أنه لن ينساها فيقول:

فأنـــا الـــذى لا ينثنـــى يعتـــاده هـــم يؤرقـــه وبـــث موبـــق
الـذاكر الـوافى الـولى علـى المـدى والأيم الباكى الحزين المطرق[1]

وهكذا نرى عزيز أباظة لا ينسى زوجه وتظل روحها ملازمة له خاصة وأنه كان يراها فى كل شىء فى حياته، فقد كانت الأم والأخت والابنه والصديقة، فيقول :

فقـــدتك زوجـــة وأخـــاً وأختـــاً وأمـــاً بـــرة وأبـــاً وخِـــدنا[2]

وكانه يعطينا مبرراً عقلياً لعدم نسيانه لها فقد كانت كل حياته لذا فهو يرفض أن يتزوج بعدها، وأن حبها لم ولن يتغير فى قلبه حتى وإن دأب الناس على التبديل والتغيير، فيقول :

يـا (زيـن) والـدنيا تغيـر أهلهـا والنـــاس رهـــن تقلـــب الأيـــام
أقســـمت لا آوى لغيـــرك خَلَّـــة عهدى إليك على المدى وذمامى[3]

وهكذا نرى عزيز أباظة يؤكد أنه لن ينساها أبد الدهر.

ثانيا : د/رجب البيومى

من معانى الرثاء التى تناولها د/ بيومى حديثه عن ذكرى زوجه، فذكر أنه لا يستطيع أن ينساها، وجاءت هذه المعانى متضمنة التعليل لعدم نسيانه لها ؛ بأنها كانت كل شىء فى حياته وأن حبه لها أعظم من أن ينسى، فقد كانت طبيبه وقرة عينه، فيقول:

(١) أنات حائرة ص ٨٢
(٢) أنات حائرة ص ٤٦
(٣) أنات حائرة ص ٣٧

أجل هى كانت فى البلايا طبيبتى فيـــالجراح بعـــدها لـــيس تـــدمل
شـهدت عـلاج الـروح فـى نكسـاتها وأيـن وقـد غـاب الطبيـب المعلـل؟(١)

فغيابها جرح لا يبرأ الشاعر منه يلازمه فى كل حياته، وهو ينظر إليها باعتبارها كل من حياته فيقول:

بكيت عليها أم بكيت على نحسى كـلا الجـانبين اسـتغرق الجهـد مـن بؤسـى
أيـا حاجـة الـنفس الملـح بقاؤهـا شـديد علـى نفسـى انتزاعـك مـن نفسـى(٢)

ثم إنه يريد أن ينساها عله أن يبرأ من هذا الجرح العميق الذى ظل قرابة أربعين سنة عاشها الشاعر بعد وفاتها يكابد فيها الأسى والحزن، فيقول :

عـــام مضـــى فحـــت بـــه الآلام
أفاعيـــــاً نيوبهـــــا ســـــمام
أتنقضـــــى كمثلـــــه الأعـــــوام
والمـــوج عـــات يـــدهم الســـفينة(٣)

فهى تلازمـه فـى كـل وقـت وتعـيش معـه، وتمـر الأيـام ولا ينسـاها، فقد مـر عـام ومازالت شاشة التلفاز سوداء وهو رمز للحداد عليها وأنه لن ينساها فيقول:

بعـــد عـــام مـــر بـــى كمائـــــــة ذكرتـــــــه
فجئتـــــــه منظفـــــاً وليتنـــــى مـــــا جئتـــــه
حاولـــــت أن أفتحـــــه فلـــــم تـــــبن شاشـــــته
تخاذلـــــت أســـــلاكه وانطفـــــأت صـــــورته
انتحـــــر المســـــكين إذ تباعـــــدت ربتـــــه(٤)

(١) حصاد الدمع ص ٢٨
(٢) حصاد الدمع ص ٣٠
(٣) حصاد الدمع ص ٣٩
(٤) حصاد الدمع ص ٦٨-٦٩

فالعام مضى كأنه مائة عام، ووسائل الترفيه فى البيت مازالت معطلة حداداً على زوجه، والتلفاز هنا رمز للشاعر الذى عزف عن ملذات الحياة ونعيمها بعد زوجه وانطفاء صورة التلفاز رمز يحمل معنى الإسقاط على الشاعر فى أحاسيسه ومشاعره.

وإذا كان د/ بيومى فى هذه القصيدة جعل العام بمائة عام فى إشارة منه لطول هذا العام وقسوته على نفسه، إلا أنه فى قصيدة أخرى جعل العامين يومين فقال :

أبعـــدت عنهـــا منـــذ يـــومين ؟
أم فـــــارقتنى قبـــــل عـــــامين
عـــذرا فهـــذى دمعـــة العـــين
لمـــا تـــزل مـــن يومهـــا تجـــرى(١)

ففى القصيدة الأولى يصور شعوره بأن العام مر كمائة عام ثقيلة على نفسه، أما هنا فيتحدث عن غيره من الناس حين يرونه ودمعه يجرى حتى بعد مرور عامين فيعتقد أنها ماتت منذ يومين فقط.

وإذا أراد أن يرثيها يتحير بين الرثاء والغزل فيقول:

بـــأى اتجـــاه أســـتحث القوافيـــا أصـــوغ نســـيبى أم أعيـــد بكائيـــا؟
يمثـــل لـــى شـــوقى خيالـــك رائعـــاً فـــألتمس التشـــبيب ألهـــى فؤدايـــا
أصـــور معنـــى الحســـن فيـــك وأنـــه ليخلـــق أطيـــاراً بســـمعى شـــواديا
ويفجـــؤنى الصـــحو الرهيـــب بـــواقعى فأرتـــد مقهـــوراً أصـــوغ رثائيـــا
نســـيب تلظـــت بالرثـــاء حروفـــه فـــإن رحـــت تتلـــوه تأوهـــت صـــاليا(٢)

وتردده بين الرثاء والنسيب راجع لأمر واضح وهو أن الشاعر حين يبكيها يكون محاذيا للواقع يشعر بالألم ويبكى لفراقها، أما حين يغلب عليه شعور الخيال وإحساس الدفء، يعيش إحساس النسيب والغزل فيتذكر جمالها ورقتها وحنوها عليه، لذلك قال : يمثل لى شوقى خيالك رائعاً.. ثم قال بعد ذلك: ويفجؤنى الصحو الرهيب بواقعى.

وهكذا نرى ذكرى زوجه عالقة فى وجدانه حتى مع مرور الزمن.

---

(١) حصاد الدمع ص ٤٨

(٢) حصاد الدمع ص ١٠٦

ثالثاً : بين **الشاعرين**

تناول الشاعر عزيز أباظة ود/ بيومى هذه الفكرة (ذكرى الزوجة) وعبرا عنها بدقة وبراعة، ورغم هذا فهناك ملامح اختلاف بينهما.

فقد كان د/بيومى أكثر إيجازاً واقتضاباً من الشاعر عزيز أباظة الذى كان أكثر تفصيلاً.

كان د/ بيومى أكثر عقلانية فى معانيه فقد اعتمد على التقسيم العقلى لمشاعره حين تحدث عن تخبطه بين الرثاء والنسيب، فكان أكثر منطقاً وعقلاً من عزيز أباظة الذى جعل زوجه تصحبه فى رحلة الحج بخيالها وروحها مما جعله أكثر خيالاً.

أحسن / بيومى حين فرق بين شعوره بعد مرور عام وبعد مرور عامين، وهو تعبير دقيق كشف عن شعوره بدقة وبراعة.

وبهذا نستطيع أن نقول أن د/ رجب كان أكثر عقلانية ومنطقاً من عزيز أباظة صاحب الخيال الرائع.

المبحث السادس

المراثى الغزلية

التغزل بالمحبوبة غرض شعرى أخذ نصيباً كبيراً من الشعر العربى وربما لا نجد شاعراً إلا وله فى الغزل قصائد عديدة، لأنه غرض ينبع من النفس لا يدفعها التملق ولا يقودوها الادعاء وإذا كان موضوع ديوانى شاعرينا هو الرثاء مما يوهم أنه بعيد عن الغزل فإن رثاء المحبوبة الزوجة قد يستدعى الغزل ليتحدث عن جمال المحبوبة وشعفه بها، وقديما قالوا الرثاء مدح للميت وإذا كان المرثى هو الزوجة المحبوبة فكيف يكون مدحها ؟ لاشك أن الأمر سيختلط بالغزل وكذلك بالطبيعة الغناء التى كانت تجمعهما.

أولاً : عزيز أباظة

تناول عزيز أباظة الحديث عن جمال زوجه متغزلاً بها وذلك لسببين، الأول : تسلية للنفس وتخفيفاً للألم الذى يشعر به، فيعمد إلى ذكرياته وخيالاته عسى أن تهدأ نفسه المكلومة، الثانى : أنه حين يتغزل بها يكشف عن عظم مصابه فيها وفداحة الخطب فقد فارقته امرأة عز الزمان أن يجود بمثلها حسناً وخلقاً.

وقد تناول عزيز أباظة محاسن محبوبته الفقيدة فى ثلاث نقاط:

- تغزله بها غزلاً حسياً.
- تغزله بها غزلاً عفيفاً يعتمد على الصفات الخلقية.
- الرثاء والغزل والطبيعة.

١. **تغزله بها غزلاً حسياً**، وليس المقصود به الغزل الماجن الفاحش، وإنما هو الغزل الذى يكشف عن محاسنها وجمالها، فيقول:

تمثلتهـا منضـورة الحسـن طفلـة ... يضـىء الـدجى منهـا جبين ومبسـم
وطاويـة عهـد الدراسـة كاعبـاً ... تروعـك فيهـا نضـرة وتوسـم
ومجلـوة للعـرس وضـاءة السـنى ... تـأود فـى وشـى الشـباب وتـنعم (١)

(١) أنات حائرة ص ٢٩-٣٠

فنرى فى هذه الأبيات صورة الحسن الجسدى ولكنه فى صور عفيفة كريمة، تتسم بالإشراق والبراءة، فهى وضاءة الجبين باسمة الثغر، يضىء منها الدجى المظلم، ونرى صورة البراءة ممتزجة بهذا الوصف الحسى حين جعل جمالها جمال طفولة، فيؤكد أنه يتحدث عن أيام طفولتها فى الدراسة، وقد خفف من حسية هذه الأوصاف حين ربط بينها وبين الطبيعة، فهى أوصاف حسية ولكنها ليست ماجنة.

وفى قصيدة أخرى بعنوان (ليلة وليلة) يتذكر فيها محبوبته فيتناولها بصورة حسية اعتمد فيها على جمال وجهها وقدها، فيقول :

بيضاء هيفاء تحكى الصبح مؤتلقا والـروض متسـقاً والبـان ريانـا (١)

فوصف محاسنها الحسية ظاهر فى البيت، وربما كان الموضوع الرئيس لا يستدعى هذه الحسية لذا فهو يمزج بين هذه الحسية وبين الصفات الخلقية، فيقول:

نتســـاقى رحيـــق لهـــو كـــريم أيـن منـى مسـكوب ذاك الرحيـق؟
ووداداً كأنـــــه قبـــل الأنـــداء (م) قـــد شـــافهت خـــدود الشـــقيق
عندشط الغدير والقصر ذى الأعلام (م) والـروض ذى الـرواء الأنيـق (٢)

ورغم أن الرحيق يرمز للقبلة إلا أنه وصفه بقوله كريم حتى يلقى عليه معنى العفة والطهارة، ثم يجعل ما بينهما من مودة ورحمة أشبه بتقبيل الندى خدود الورود فى الصباح، وهى صورة رقيقة تعكس الرقة والجمال.

وهكذا فإن الصفات الحسية التى عرضها الشاعر جاءت فى ثوب من العفة، خاصة وأن الموقف لا يستدعى فحشاً أو وصفاً حسياً قبيحاً يذرى بالشاعر.

٢- **تغزلـه بهـا غـزلا عفيفـاً** يعتمد على الصفات الخلقية، وقد أبرزها الشاعر فى صورة واضحة جداً، فهى صفات تتناسب مع الموضوع، فذِكر الخلال الطيبة للمرثى طبيعة دأب عليها شعراء المراثى، ولكن حين يرثى زوجه فإن حديثه يكون شبيهاً بالغزل من هنا تمتاز مراثى الغزل للزوجة بسمتين، الأولى : أنه يساير شعراء المراثى فى ذكر مناقب المرثى، الثانى : أنه يسلط الضوء على خلال لا يستشعر معناها أحد إلا هو، فهى نابعة من نفسه.

---

(١) أنات حائرة ص ١٠٠

(٢) أنات حائرة ص ٤٠

وقد وصف عزيز أباظة زوجه بكريم الخلال من بين هذه الصفات العطاء فيقول:

فقــدتها خلــة للــنفس كافيــة تكــاد تغنــى غنــاء المــاء والــزاد
ومــوئلاً أجـد الأمــن الكــريم بــه إذا تعــاورنى بــالبغى حســادى
تحنــو علــى وترعـانى وتبسـط لـى فـى غمـرة الـرأى رأى الناصـح الهـادى(١)

فهى الماء والزاد والأمن والحنان الذى يرعاه والعقل الذى يرشده، لقد كانت كل شىء فى حياته، وهو هنا لايستخدم عناصر حسية فى تجسيد العلاقة الروحية بينهما، وإنما يسلط الضوء على دورها فى حياته من خلال عرض صفاتها الكريمة التى نالت بها منزلة عظيمة بين النساء، وتتجلى هذه الأخلاق بوضوح حين يجعلها تغمر بعطفها وحنانها الفقراء والمساكين مما يجعل خلالها الكريمة واضحة لكل الناس، فيقول:

يــــذكرنيك باكيــــة وبــــاك مــن أبنــاء الســبيل البائســينا
وحانيــة الضــلوع علــى يتــامى بمدرجــة الطريــق مروعينــا
وجــوعى يســالون النــاس جهــرا وغرثــى غيــرهم لا يســالونا
وكنــت غــايتهم ســكبت علــيهم يــداك البــر مُخضــلاً هتونــا (٢)

فقد كانت كريمة اليد تعطف على البؤساء وأبناء السبيل واليتامى، ويوضح من كانت تعطف عليهم فيقول : باكية.. باك.. أبناء السبيل.. البائسينا.. اليتامى.. المروعين.. جوعى.. يسألون الناس جهرا.. ثم وصفها بالحنان والعطاء فقال : حانية الضلوع.. كنت غايتهم.. سكبت عليهم البر.. والأبيات كما نرى ترسم صورة شخصية طيبة الأخلاق.

ويؤكد على أنها كانت كثيرة العطاء، ليس عطاء الفخر والرياء وإنما عطاء المخلصين المؤمنين، فقد كانت تفعل ذلك ابتغاء رضوان الله، فيقول:

واقســم كانــت لليتــامى دريئــة تزود الأسى عنهم وتأسو تنصف
تضــم جناحيهــا علــيهم حفيــة وتحنــو حنــو الولـدات وتعطـف (٣)

(١) أنات حائرة ص ١٩-٢٠
(٢) أنات حائرة ص ٤٨
(٣) أنات حائرة ص ٨٤-٨٥

ثم يعرج للحديث عن إيمانها وقيامها الليل تصلى، وقراءتها للقرآن الكريم وخشيتها من الله عز وجل، فقد كانت أوابة إلى الله دائمة التسبيح والدعاء، فيقول:

وكانـــت تقـــوم الليـــل إلا أقلـــه وأحلافهـا فيـه مصـلى ومصـحف
مـدامعها مـن روعـة الـذكر ذُرّف وأوصـالها مـن خشـية الله رجـف
تهجـــد أواب وتســـبيح قانـــت فللـــه ذاك الخاشـع المتخـوف (١)

هكذا رسمها الشاعر مؤمنة مخلصة فى عطائها وعبادتها، وهى كلها صفات تتناسب مع الرثاء، فقد استحضر هذه الصفات فى مكانها الصحيح وكأنه يشهد لها أمام الله عز وجل بالصلاح وحسن الخلق.

ولا ينسى أن يذكرها بالفضل فى الدنيا وأنها كانت تمتاز برجاحة العقل فيقول:

مـن معينـى بثاقـب الـرأى يجلـوه (م) وليـد التهـذيب والتحقيـق؟ (٢)

كما تمتاز بالنسب الكريم الذى علا بشأنها فى الدنيا، فيقول:

تـاود فـى حمـى الحسـب المصـفى وفى عِطْف الصبا الحالى تميس(٣)

وهكذا رسم الشاعر عزيز أباظة صورة لزوجه تمتاز بالحسن كمؤمنة عابدة تبتهل إلى الله عز وجل، وكزوجة حنون عطوفة، وكإنسانة تعطف على الفقراء .

٣- الرثاء والغزل والطبيعة.

علاقة المحبين بالطبيعة مألوفة عند الشعراء العرب، وشاعرنا عزيز أباظة تعامل مع الطبيعة باعتبارها تشارك محبوبته الحسن، كما تحدث عن الطبيعة باعتبارها مشاركة له فى إحساسه بزوجه فى أيام السرور وأيام البؤس والشقاء.

(١) أنات حائرة ص ٨٥
(٢) أنات حائرة ص ٤١
(٣) أنات حائرة ص ٤٨

فنرى الشاعر عزيز أباظة يستحضر الطبيعة الريفية الجميلة ببراءتها بجوار جمال زوجه وبراءتها أيام صباها فيقول:

إذ نحـن فـى ورد الحيـاة وخمرهـا كـالروض بـين المـاء والأنسـام
والعـيش ثـم كأنـه قُبـل النـدى حملـت تحايـا الفجـر للأكمـام
أيـام نمـرح فـى صـبا وصـبابة موصـولة الصـبوات والأيـام[1]

وتظل مدينة (ميت غمر) بجمالها الريفى تداعب خيال الشاعر وتذكره بأيام صباه مع زوجه، فيصف الرياض الخضر الجميلة فيقول:

يا (ميت غمر) ذكرت عهدك خاليا وذكـرت فـى عطفيـك طيـب مقـامى
وذكـرت نيلـك وهـو يجـرى عنبـرا أو فضـة مـن ريفـك المترامـى
فـإذا الخمائـل فـى الأصـائل فتنـة وإذا الغيـاض مكلـلات الهـام
أضـفى علـى الشـطين أنضـر زينـة وتعاهـد البلـدين بالإنعـام
لـم أنـس لـيلات عليـه كانهـا من طول ما قصرت طيوف منام[2]

فالأيام فى ظلال هذه الطبيعة الجميلة أشبه بالأحلام رقة ووداعة، فهى تمتلىء بالأحاسيس الجميلة.

ثم نراه فى قصيدة أخرى يسلط الضوء على الجمال الريفى الذى أسر الشاعر فى زمن الربيع فيقول :

ومرائـى الربيـع فـى حلـل الريـف (م) وموشـى نسـجه المنسـوق
تحسـب الكـون كلـه عـش طفلـين (م) ومغـدى شـقيقة وشـقيق
ونـرى العمـر بسـمة الـزمن السـمح (م) ومجلـى بهائـه المومـوق[3]

(١) أنات حائرة ص ٣٢-٣٣
(٢) أنات حائرة ص ٣٤
(٣) أنات حائرة ص ٤٠

وهكذا نرى الطبيعة التى تجمع بين عزيز أباظة وزوجه تتسم بالبراءة فليست كتلك المدينة الصاخبة، وإنما هى طبيعة تتسم بالهدوء، وهذا مناسب للحالة الشعورية التى تجمعه بزوجه أيام الصبا ونضارة الشباب حيث قلوب كأفئدة الطير لذا كانت معانيه مناسبة لشعوره.

أما عن مظاهر الأسى والحزن التى بدت فى الطبيعة لفراقها فقد تجلت عند الشاعر فى أكثر من موضع، كان أبرزها صورة غروب الشمس وكانها تبكى لفراق الفقيدة فيقول فى قصيدة بعنوان وحى الغروب :

قلـــت لمـــا رأيتهـــا تتهـــادى لمغيـب فـى جـوف يـم سـحيق مشـوق
وهـــى مصـفرة الأديـم كمـا اصـفر (م) أضـــــناه نـــــأى مشـــــوق
أيـــه يـــا شـــمس العـــوالم تجـــرى فـــى بـــروج علويـــة التنســـيق
سـابق فـى سـديمه جـد فـى السـير (م) فـــأخلى الســـبيل للمســـبوق
ســـنة الكـــون والحيـــاة دواليـــك (م) غـــروب مســـتأنف مـــن شـــروق
أنـت ذكرتنـى بشـمس مـن الحـور (م) وتوالـــت فـــى حســـنها المرمـــوق[1]

وهو هنا يجمع بين غروب الشمس وموت زوجه فى صورة رمزية جميلة تكشف عن أنها كانت الحياة بالنسبة له كما أن الشمس هى الحياة للناس، ثم يوظف صورة الشمس وقد تغير لونها عند الغروب وأنها تذكره بلون وجهه عند موتها، وتغلب عليه نزعة الحكمة حين قال غروب مستأنف وشروق، مشيراً إلى طبيعة الحياة، وهذه الحكمة ليست فى محلها لأنه أفقد الرمز لها بالشمس كثيراً من معناه، حيث واجهنا بالحقيقة الكونية فى الشروق والغروب المتكرر ولو أنه قال إن موتها غروب لا شروق بعده لكان قد عمق الرمز والإحساس بالمأساة.

ويؤكد أنها تشبه الشمس فى صورة أخرى فيقول:

(١) أنات حائرة ص ٣٨

مضت أمكم كالشمس لماحة السنى ومضت كما يمضى الربيع المفوف(١)

وهو هنا لا يعتمد على انفعال حقيقى فى بكاء الطبيعة لزوجه وإنما هو يشبهها فى الحسن بزوجه، وكذلك بالربيع، وكان الأولى أن يخلق علاقة أجمل فى الربط بينها وبين الشمس أو الربيع.

ويصورها مرة أخرى بالندى فوق الأزهار فيقول:

ذهبت كالندى تألق فوق الزهر فى غرة الصباح الطليق(٢)

وهى صورة تكشف عن رقتها وبراءتها فجعلها كالندى الذى ينقشع عندما تداعبه نظرات الشمس، ويقول فى صورة أخرى حول نفس المعنى:

وزالت كطل الفجر لم تخل روضة تعاهدها من عبقرى المآثر(٣)

والشاعر هنا يعتمد على عنصر الزمن فى رسم صورة رقتها، فوظف وقت الفجر ليرسم مدى الصفاء الذى تتسم به، وهكذا نرى عزيز أباظة استطاع أن يتغزل بزوجه بصورة مناسبة للرثاء ولا تبعد عن مضمونه العام.

ثانياً : د/رجب البيومى

اختلف د /بيومى عن عزيز أباظة فى تغزله بزوجه الراحلة فقد مزج عزيز أباظة بين شعور المحب الذى يسرى عن نفسه بذكر محبوبته وأيام سعادته بها، بينما تغزل د/بيومى بها حسرة وفجيعة وألماً فاتسم بنزعة بكائية أكثر من كونها غزلية.

وقد اعتمد د /بيومى على الصفات الحسية لزوجه ومزج بينها وبين الصفات الخلقية، فنراه يكشف عن دورها فى حياته وأنها كانت تخفف آلامه فاختار الصفات المناسبة لهذا المعنى فقال :

أذاك الجبين الطلق يطفأ نوره؟ وكان يشع الحسن فى عالم الأنس
أذاك القوام اللدن يقصفه الردى؟ وكان نضيرالعود مزدهر الميس
أهذا الصبا الفينان يطمس فى الثرى بأعجل ما تدهى المقادير من طمس؟

(١) أنات حائرة ص ٨٤
(٢) أنات حائرة ص ٤١
(٣) أنات حائرة ص ٦٥

أهذا مصير الحسن فى الكون؟ويحها شجونا دعت أهل التفاؤل لليأس(١)

فهو يستخدم صفات حسية للكشف عن جمالها فنرى الجبين الطلق المشرق الذى كان يشع حسنا وأنسا فى البيت، ثم يعرج إلى ذكر قوامها ونضارة قدها وأنها تمتاز ببراءة الصبا، وقد استخدم الاستفهام التعجبى الذى يظهر عجزه وضعفه أمام قوة الموت الذى اختطف هذه الحسناء من بين يديه، من هنا اختلط عزله الحسى لها بالدمع والأنين، ولا يخرج عن هذا المعنى حين يريد وصف جمالها، فيقول:

قد تعجلت فى الرحيل ويستبعد ممن له صباك الرحيل
ولومض الحياة فى حسنك الضاحك نور بهاؤه يستطيل
ولزهو الجمال فى فرعك الفينان سحر على الفؤاد يصول
ولتيه الشباب فى عودك الناضر دل يميل حيث تميل
ذبل الورد فى الربيع وهول أى هول عند الربيع الذبول
أفل البدر ليلة التم هلا كان عند المحاق هذا الأفول(٢)

فنرى فى الأبيات هيام الشاعر بجمالها وصباها وحسنها الضاحك، ونور وجهها وفرعها وقدها الساحر، ثم يقابل هذه الصورة الحسية لجمالها بصورتها بعد الموت، فنرى الورد الذابل وهو فى ربيع العمر، ونرى البدر يأفل وهو فى ليلة تمامه، وهكذا نرى الصفات الحسية تتداعى عند الشاعر فى وصف زوجه، فسلط الضوء على تبدل الحسن قبحاً وموتا مفجعاً، ويؤكد هذا المعنى أيضا حين يسترجع سالف عهده بها فيقول:

فقدتك فقدان الضرير ضياءه فخطبى مهما تصبرت فادح
تنزهت فى فردوس حسنك أنتشى بعطرك فى ريحانه وهو نافح
إذا نسمت أنفاس صدرك نسمة تأرج عطرا فى حياتى فائح(٣)

ورغم أن البيت الأول يكشف عن ألم فقده لها إلا أنه يحاول أن يستدعى الماضى ليتسلى به، وكم كان موفقاً حين جعل العلاقة بينهما طاهرة، فقد تنزه فى فردوس حسنها، كما سلط الضوء على طيب رائحتها، ويؤكد هذه الصفات الحسية فيقول:

---

(١) حصاد الدمع ص ٦٥
(٢) حصاد الدمع ص ٧٤-٧٥
(٣) حصاد الدمع ص ٨٤-٨٥

تخيرتهـــا بـــين النواهـــد طفلـــة لهـــا غـــدها المـــوحى بمـــا هـــو مـــانح
كبـــرعم زهـــر مـــؤذن بتفـــتح علـــى غصـــنه والغصـــن أزهـــر صـــابح(١)

وهكذا نرى الشاعر يجيد فى تغزله الحسى بها وربطه بفجيعته بموتها بصورة دقيقة فلا تكاد نرى صورة واحدة لحسنها إلا ويتبعها بصورة أخرى لموتها وفجيعته بها

كما اهتم د/ بيومى بالصفات الخلقية، وهى أكثر ملائمة لتجربته الشعورية، فنراه يقول:

ولهـــا علـــى رغـــم الصـــبا وفتونـــه مثـــل العقائـــل هيبـــة ووقـــار
ذاد الجمـــال عفافهـــا لإشـــراقة فهمـــا بعينـــى معصـــم وســـوار
شـــاهدتها بســـامة فـــى بيتهـــا مهمـــا طغـــت مـــن حولهـــا الأكـــدار(٢)

فسلط الضوء على أخلاقها الكريمة مثل رجاحة العقل والهيبة والوقار والعفة وبسمة الوجه رغم مصاعب الحياة، وهى صفات تناسب الزوجة أكثر من كونها تناسب معانى الغزل عند المحبين.

ويصرح د/ بيومى أنه لا يرثى زوجه وإنما يتغزل فيها فيقول :

متغـــزل أنـــا فيـــك رغـــم مصـــيبتى مهمـــا يضـــج الناقـــد الثرثـــار
أنكـــرت وصـــفك فـــى الحيـــاة تزمتـــا أيجـــوز لـــى بعـــد الـــردى الإنكـــار؟
إن كان وصف الحسن فيض مشاعر فـــالألم يكبـــت صـــوته الهـــدار
لألأت آفـــاق الحيـــاة بنـــاظرى فظلامهـــا قبـــل الهزيـــع نهـــار
أيـــام بســـمتك الرقيقـــة بلســـم والجـــرح فـــى دامـــى الحشـــا نغـــار
أيـــام نظرتـــك العطـــوف ســـكينة للـــنفس بـــات يرجهـــا الإعصـــار(٣)

فهو يعترف بأنه كان يبخسها حقها فى الحياة فلم تنل من شعره القدر الذى تستحقه، وهى الجديرة بفيض من الشعر، وقد كانت نور حياته رغم ظلام الدنيا، وكانت البسمة والدواء لجراحه حين تعصف به أعاصير الحياة.

---

(١) حصاد الدمع ص ٨٥
(٢) حصاد الدمع ص ١٧
(٣) حصاد الدمع ص ٢٢

وهكذا استطاع د/بيومى أن يعطينا صورة لزوجه الرقيقة الجميلة، أما عن علاقة زوجه بالطبيعة فقد شبهها الشمس والنهر فيقول:

فيا مصرعاً للشمس فى رونق الضحى شهدت لقد راع الحجا مصرع الشمس
ويالجفاف النهر والقيظ لافح وقدذاب من حرالصدى ذابل الغرس(١)

فقد جعلها شمساً لا وجود للحياة بدونها ونهراً لاوجود للنبات بغيره فربط بين زوجه وعناصر الحياة، وأوضح هذه العناصر عنصر الضوء الذى يمثل الحياة بعد ظلام الليل الذى هو رمز للموت، ثم يعبر عن موتها بقوله: مصرع وهذا أشد دلالة على فجيعته، وغروب الشمس لا يكون فى الضحى ولكنه فجع بموت زوجه وما تزال فى ضحاها وشبابها.

ويعجب الشاعر من أن الحياة تسير رغم موت حبيبته، فالشمس تشرق والقمر يضىء فيقول :

أتسفر الشمس مع الصباح
باهرة فضية الوشاح
مدلة بسحرها اللماح
وأنت ما بين الثرى دفينة

******

والقمر الساحر فى المساء
مليك أفق باهر العطاء
يلألئ الغدران بالضياء
وأنت فى الغيهب تجهلينه(٢)

وهى صورة تقريرية أراد بها الشاعر أن يكشف الفرق الهائل بين الحياة فى ظلها والحياة بعدها، وللدكتور بيومى قصيدة رائعة يغلب عليها الطابع الخيالى بعنوان: وهم جميل يصور أيام أنسه بزوجه فى حديقة كانت تجمعهما، يقول فيها:

---

(١)حصاد الدمع ص ٣١
(٢) حصاد الدمع ص ٤٠-٤١

تــراءت شــجيراتها مــن بعيــد فرفــرف شــوق وعنــى نشــيد
تـــذكرت أمســـى بأفيائهـــا أروض البيـــان وأروى القصـــيد
فقلـــت أفـــيء إلـــى ظلهـــا لأحيـى عهـد الشـباب الفقيـد(١)

إنه يتطلع إلى كل مكان كان يجمعهما عساه أن يأنس بخيالها، ثم يبين أنه أتى هذه الحديقة ليبدد آلام الحياة فى ظلال خيالها فيقول:

جلســت وهمــى فــى ســاعة أبــدد فيهــا همــوم الحيــاة
جمــال النخيــل وصــفو الغــدير ووثــب الطيــور ولحــن الرعــاة
وأرجوحــة الــدوح يلقــى الظــلال علــى سـندس قـد ترامـى مـداه(٢)

ويسترجع أيامه الجميلة فى هذا المكان فيقول :

هنــا مــن زمــان قريــب بعيــد جلســت مــع الغــادة الراحلــة
يفضـض نـور الضـحى وجههـا فـــأنعم بالطلعـــة الماثلـــة
تقـــول فأصـــغى ويـاليتهـــا هششـــت إذا كانـــت القائلـــة(٣)

وهذه القصيدة تكشف عن أمرين، الأول: شوق الشاعر لزوجه التى كانت تملأ حياته حيوية وجمالاً، والثانى ربطه بين جمال زوجه والطبيعة، فالرياض الخضر والحدائق الغناء كانت ثالثهما مما يوحى بشاعرية الحياة بينهما وجمالها، وهى قصيدة رائعة تكشف عن روح خيالية عاشها الشاعر فى ظلال الطبيعة التى جمعتهما.

ثالثا : بين الشاعرين

اتفق الشاعران فى المراثى الغزلية فى وصف الفقيدة بصفات عقلية واحدة منها رجاحة العقل ورقتها وبسمتها وحنوها عليه، ولكن عزيز أباظة كان أكثر خيالاً فغزله فيها

(١) حصاد الدمع ص ١٠٣
(٢) حصاد الدمع ص ١٠٣
(٣) حصاد الدمع ص ١٠٤

وفى مراتع الطبيعة الجميلة التى جمعتهما كانت أكثر جمالاً وبراءة حتى إننا نشعر أنها تجالسه ويأنس بها فى هذه الحياة، أما د/بيومى فقد كان أكثر عقلانية اللهم إلا فى قصيدته الأخير التى بعنوان (وهم جميل) التى اتسمت بمسحة خيالية كما كانت تشبيهاته مكررة بصورة واضحة.

استطرد عزيز أباظة فى أشعاره فبدا فى ثوب المتعزل فى كل قصيدة له من قصائد ديوانه، وكأنه يعيش معها بخيالها، أما د بيومى فقد كان غزلة تفجعاً وحسرة وبكاء فقد كان يعيش الواقع أكثر من الخيال.

كشف عزيز أباظة عن تغزله بزوجه فى حياتها أكثر من د/رجب الذى اعترف بأنه لم يكن قد تغزل بها فى حياتها.

استطاع د/رجب أن ينسج صورة رائعة لموت زوجه، وربما كانت هذه الصورة هى الأكثر جمالا عنده، وتفوق بها على صور عزيز أباظة حين جعل موت زوجه مصرعاً للشمس وليس غروباً لأن الغروب يعقبه شروق، أما مصرعها فمعناه انتهاء حياتها مما يؤكد فداحة الخطب، ولكن فى المجمل العام كان عزيز أباظة اكثر خيالاً من د/ بيومى الذى اتسم بالعقلانية.

هذه هى أهم الموضوعات التى تناولها شاعرانا حول رثاء الزوجة، ويبقى أن نشير إلى أن عزيز أباظة تفرد بفكرة لم يكن لها أثر فى ديوان د/ رجب البيومى، وهى حديثة عن رحلة الحج.

ما انفرد به عزيز أباظة

تحدث عزيز أباظة عن موضوع يوهم ظاهره أنه لا علاقة له بموضوع الرثاء، وهو حديثه عن رحلته للحج، وبكائه وحزنه أنها لم تكن فى صحبته، وقد تجلى فى هذا الموضوع ثلاثة عناصر هى:

- استلهام القصص ذات الطابع الدينى والأخلاقى.
- وصف الأماكن المقدسة وإبراز المشاعر الإيمانية الروحية عند زيارتها.
- حزنه لفراق زوجه وأنها لم تصحبه فى هذه الرحلة المباركة.

١. استلهام القصص ذات الطابع الدينى والأخلاقى.

تناول عزيز أباظة قصصاً متعلقة بالديار المقدسة بالعرض، فبين طهارة وسمو ونقاء هذه الأماكن، واعتمد فيها على العرض القصصى وتتبع الأحداث مما جعل أشعاره أشبه بتسجيل الأحداث، وقد حاول أن يلقى جانباً من القيم الأخلاقية حتى يخرج من دائرة السرد القصصى الذى يخل بالشعر، فنراه يتحدث عن البيت الحرام منذ أن رفع قواعده خليل الله إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام فيقول :

بـــارك الله حولهـــا واجتباهـــا فزكـــت فـــى صـــعيدها الأنبيـــاء
الـذبيح الكـريم والـذابح السـمح (م) حنيـــــف نمتهـــــا حنفـــــاء
رفعا بيتها العتيق على التقوى (م) فعـــز البـــانى وطـــال البنـــاء[١]

ورغم أنه يعتمد على السرد القصصى إلا أنه مزجه بالحديث عن قدسية البيت، ويشير إلى قصص تاريخية دينية تكشف عن قيم خلقية مثل الطاعة والفداء والتضحية فى قصة ذبيح الله إسماعيل، فزيارته لبيت الله الحرام حركت فى نفسه هذه المعانى الأخلاقية، ثم يتحدث عن شرف آل بيت رسول الله ﷺ وأنهم فى الجاهلية قاموا على أمر بيت الله الحرام، فقال:

ســـدن البيـــت هاشـــم وبنـــوه عتـــرة ســـاكب عليهـــا الســـناء[٢]

(١) أنات حائرة ص ٥٥
(٢) أنات حائرة ص ٥٦

ويتحدث عن حماية الله تعالى لبيته فيعرض حادثة الفيل فيقول:

واذكر الفيل كيف جاءوا لهدم البيت (م) ثـم انثنـوا وبـالخزى بـاءوا
دفـــع الله كيـــدهم وأذاهـــم فـإذا الطيـر جنـده والوبـاء[1]

وأشعاره كلها فى مستهل هذه القصيدة(فى بطحاء مكة) تدور حول البيت فهو محورها، ثم ينتقل إلى قصيدة أخرى فيتحدث عن الرسالة المحمدية موظفاً الأحداث التاريخية فى الكشف عن قيم وأخلاق الإسلام فيقول:

وأرى الوجـوه فـى عتيـق ترابـه عتقـاً مـن الـرق الـذى يتـذوق
اقـرأ فلـم يقـرأ ولكـن شـعّه دينـا هـو الفـن الجميـل المونـق
أرسى على الأخلاق سمح أساسه والعقـل فـى إعجـازه والمنطـق[2]

فأول ما أمر به ﷺ (اقرأ)؛ ليثبت قواعد العلم الذى ينفع الإنسان وفيه صلاح البشرية والأخلاق السمحة الإسلامية، ثم يتحدث عن (غار ثور) فيقول:

فاسال الغار كيف ضم الطريدين (م) وأخفـى، وهـل لشـمس خفـاء؟
ثـانى اثنـين فيـه، ربهمـا الثالـث (م) فهـو المـلاذ وهـو الوقـاء[3]

ويتحدث عن مساندة السيدة خديجة لرسول الله ﷺفيقول :

يـا أم فـاطم لـم يـتح لكريمـة فضل كفضلك فى الورى مستوثق
وقـد ثبـت الإسـلام أنـك كهفـه الـ أعلـى وأنـك حضـنه المترفـق[4]

ويتحدث عن غزوة أحد مسلطاً الضوء على خلق الطاعة وكيف خسر المسلمون معركتهم بسبب مخالفة أمر الرسول ﷺ فيقول:

فليـت الرمـاة أطـاعوا الرسـول إذن لاسـتوى نصـرهم واضـطرد[5]

(١) أنات حائرة ص ٥٦
(٢) أنات حائرة ص ٧٣-٧٤
(٣) أنات حائرة ص ٥٩
(٤) أنات حائرة ص ٧٤
(٥) أنات حائرة ص ٩٧

وهكذا نرى أن استدعاء القصص الدينية عند عزيز أباظة يرتبط بالقيم الإيمانية التى استشعر عزيز أباظة فقدانها فى أخلاقيات عصره.

وصف الأماكن المقدسة وإبراز المشاعر الإيمانية الروحية عند زيارتها، فقد وصف مكة والمدينة باعتبارهما مبعث الإشعاع الروحى فى النفس، فألقى بهالة من النورانية على هذه الأماكن المقدسة فيقول فى مطلع قصيدته(فى بطحاء مكة) :

رفعـت الأرض حولهـا والسـماء وتنـاهى لهـا السـنى والسـناء
وزكـا عنـدها الهـدى فـإذا الكـون (م) جمـــال ورحمـــة وإخـــاء
قـف ببطحائهـا قبالـة بيـت الله (م) واخشـــع فإنهـــا البطحـــاء
بـــارك الله حولهـــا واجتباهـــا فزكـت فـى صـعيدها الأنبيـاء[1]

فنورانية المكان تتجلى فى إشراق السماء حول مكة والمدينة، وقد سما مجدها وتعالى برسالة الإسلام، ويقول فى قصيدة (وحى يثرب) :

أتلـك روابيهـا العـلا وهضـابها وهـذى القبـاب المشـرفات قبابهـا
بلـى إنها مثوى الرسول وروضة تقـــدس واديهـــا وعـــف ترابهـــا
أفضـنا إليهـا خاشـعات قلوبهـا مســـبحة أحناؤهـــا وشـــعابها
يضـج بها شـوق لأطهر مضـجع فتندى وقد يشفى القلوب انتحابها[2]

ففى الأبيات تتجلى عاطفة الشوق لمدينة رسول الله ﷺويصف المدينة بالطهارة التى ترتاح لها القلوب، ويؤكد على طهارة تراب يثرب ؛لأن قدم رسول الله قد وطأته، وأن بها قبره الشريف، كما أن يثرب تشرف لأن بها قبور صحابة رسول الله ﷺ الأبرار الكرام، وهذه كلها معانى تؤكد طهارة مكة والمدينة.

حزنه لفراق زوجه وأنها لم تصحبه فى هذه الرحلة المباركة، فقد أكد على هذا المعنى فى أكثر من موضع فيقول وقد وقف على عرفات:

بكيت لها أن لم تقف وقفة الرضا علـــى عرفـــات والحجـــيج قيـــام

(١) أنات حائرة ص ٥٥
(٢) أنات حائرة ص ٨٦

ملبـــين بـــاكين يســـتغفرونه وبعـض الـدموع السـافحات كـلام
ولـم تتطـوف بـالعتيق ولـم تفـض إلـى روضـة الهـادى عليـه سـلام[1]

وربما كان مما يزيد ألمه أنها كانت تتمنى الحج فيقول :

ذكرت التـى كانـت تمنـى لـو أنهـا ترامـت إلـى أرض الرسـول ركابهـا
دعتنى فلم أطلب وثنّت فلم أجب فكــان بكــاء القانتــات عتابهــا
وقلت لها فى قابل العمر فتهللت فما أن دنت حتى فَجَانا ذهابها
وددت بعينـى لـو أجبـت طلابهـا وكـان يسـيراً أن يجـاب طلابهـا[2]

هذه هى أهم عناصر قصائد الحج فى ديوان أنات حائرة، ولولا أن الشاعر كان دائم الذكر لزوجه فى هذه القصائد لغدت هذه القصائد مقحمة على الديوان.

هذه هى أهم العناصر الموضوعية عند شاعرينا، وهى تكشف عن ثراء فكرى وعمق فى التجربة، وتنوع فى المعانى ورغم أن هناك ملامح اختلاف بين الشاعرين إلا أنها اختلافات لا تكشف عن تميز أو ضعف بقدر ما تكشف عن شخصية وطبيعة كل منهما.

(١) أنات حائرة ص ٦٣
(٢) أنات حائرة ص ٩٠

الفصل الثانى
رثاء الزوجة بين عزيز أباظة ورجب البيومى
(رؤية فنية)

إذا كان الموضوع بما يتضمنه من رؤية وتصور فكرى إطاراً موضوعياً مضمونياً يشغل الشاعر ويتلامس مع وجدان القارىء فإن هذا الموضوع أو المحتوى الفكرى لا يرقى إلى درجات الجودة والتمييز إلا إذا اقترن بالجمال الفنى، فبدونه لا يرقى المضمون إلى الجمال، والقدماء أوجزوا هذه القضية فى كلمات وأحكام نقدية مبدعة، فهذا الجاحظ يقول كلمته المشهورة كاشفاً عن ضرورة الجمال الفنى فى القصيدة : "والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها العجميُّ والعربيُّ، والبدويُّ والقرَوي، والمدنيّ، وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن، وتخيُّر اللفظ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحَّة الطبع وجَودَة السَّبك، فإنما الشعر صناعةٌ، وضَرْب من النَّسج، وجنسٌ من التصوير "(١)

وقد اندفع فلاسفة ونقاد الأدب الغربى لتقديم الشكل على المضمون فقد زعموا "بأن الشكل هو الجانب الجوهرى فى الفن، هو الجانب الأعلى، الجانب الروحى، وأن المضمون هو الجانب الثانوى الناقص الذى لم يتوفر له من النقاء ما يجعله واقعاً كاملاً"(٢) وهذا ما حدا ببعض النقاد أن يقدموا الشكل على المضمون، وهذه إشكالية لا طائل من ورائها، فالشكل والمضمون كلاهما كحدى المقص لايمكن لأحدهما أن يكون أولى بالوجود من الآخر، ولكن ينبغى أن ندرك فى النهاية أن القيم الشعورية وكذلك القيم التعبيرية لها أثر واضح فى تشكيل أى عمل أدبى ناضج يتسم بالجمال.

وسوف ندرس القيم الشعورية والتعبيرية عند شاعرينا لنتطلع إلى مواطن الجمال الفنى عندهما من خلال المباحث التالية :

---

(١) الحيوان للجاحظ ١٣١/٣ تحقيق عبد السلام هارون. طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة

(٢) ضرورة الفن ،تأليف /أرنست فيشر ص ١٥٩ترجمة أسعد حليم طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨م

المبحث الأول

التجربة الشعرية

التجربة عنصر مهم من عناصر البناء الفنى للقصيدة الشعرية ولها مكانة كبيرة فى توجيه العمل الفنى والتأثير عليه وعلى العاطفة على وجه الخصوص، فهى التى تساعد على رسم الانطباعات النفسية والتصورات الشعورية فى نفس الأديب، وهى البداية الجوهرية لعملية الخلق الشعرى، فهى" الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التى يصورها الشاعر حين يفكر فى أمر من الأمور تفكيراً ينم عن شعوره وإحساسه، وفيها يرجع الشاعر عن اقتناع ذاتى وإخلاص فنى لا إلى مجرد مهارته فى صياغة القول ليعبث بالحقائق أو يجارى شعور الآخرين لينال رضاهم "(١)

فالتجربة بهذه الصورة تتمثل فى الحدث أو الموقف الذى يتعرض له الأديب سواء أكان الموقف نفسياً أم كونياً مادياً، لذا فالأديب لابد أن يكون انفعاله بالحدث انفعالا حقيقياً وليس ملتصقاً بوجدانه، أو منقولاً إليه من غيره، لأن التجربة فى هذه الحالة ستكون زائفة لا تكشف عن عمق أو حيوية، والشعر أحوج مايكون إلى عمق التجربة وحيويتها " فحيويتها وغموضها وتناقضها يزيد من قوة الإيحاء والرمز، ولكن لابد أولاً وقبل كل شىء أن تكون التجربة عميقة لا أن تدل على عقلية ضعيفة " (٢)

وتتمثل غاية الأديب فى أن ينقل هذه التجربة نقلاً صادقاً ولكن ليس من باب أن يقول فى صراحة عن طبيعة شعوره وإحساسه، أو أن ينقل التجربة بصورة مجملة تكاد تكون تقريرية، كأن يقول إنى أحبها حباً كبيرًا أو كذا وكذا من الكلام التقريرى، بل تتمثل قدرته فى نقل تفاصيل هذه التجربة وأبعادها فى نفسه وأثرها على وجدانه وشعوره، ومن ثم فى كلماته وصوره، وهذا ما يدفع بالتجربة نحو الإنسانية وملائمتها للوجدان البشرى عامة.

لذا فإن الأديب حين ينفعل انفعالاً حقيقياً بالتجربة" فليس من حقه أن يخنق جانباً من التجربة أو أن يبترها فى سبيل هدف من الأهداف أو قيمة من القيم، مهما تراءى له

(١) النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال ص ٣٨٤ دار نهضة مصر للطباعة

(٢) الأسس الجمالية فى النقد العربى عرض وتفسير ومقارنة. د/عز الدين إسماعيل ص ٣٧٢ طبعة دار الفكر العربى الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٤م

أن هذا الهدف بلغ منتهى السمو، حتى لو كان هذا الهدف . فيما يرى . خير الإنسان نفسه "[1]، وهذا كله يدل على مدى أهمية التجربة الشعرية فى العمل الأدبى.

والتجربة قد تكون ذاتية أو غيرية، وقد تكون واقعية أو تاريخية أو خيالية، وسوف يبين البحث هذه الأنواع من التجارب فى شعر شاعرينا . عزيز أباظة ورجب البيومى . ومدى قوة وعمق ودقة وإنسانية التجربة عندهما وما بينهما من اتفاق واختلاف.

أولاً: عزيز أباظة

تجربة شعر الرثاء تجربة ذاتية محضة تنبع من نفس الشاعر، ويؤثر الحدث . موت الزوجة . على نفس الشاعر تأثيراً ذاتياً يخلو من التكلف والتصنع والادعاء العاطفى، فهى تجربة نابعة من داخل النفس تتسم بالصدق والعمق والقوة والأصالة، تجربة تقوم على الإخلاص والوفاء لهذه الزوجة المحبوبة، وهذا يدل على أن التجربة إنسانية ذاتية فى أغلب شعر المراثى.

وقد اتسمت تجربة شعر الرثاء للزوجة عند عزيز أباظة بأنها تجربة ذاتية أصيلة نابعة من نفسه وكشفت عن معايشته لحالة الحزن والألم، فمعاناته كانت حالة دائمة ملازمة له، ولم تكن حالة عاشها فترة من الزمن ثم نسيها، فقد كانت شديدة الأغوار فى نفسه شديدة التاثير على عاطفته ووجدانه، لذا تكررت أصداء هذه التجربة فى مواقف عديدة ربما كان أكثرها التجربة الذاتية القائمة على المقارنة بين الماضى والحاضر مما يخلق جواً من الفجيعة والمأساة، فيقول:

تمر مواضى الذكريات كريمة ... كما مر بالممطول طيف مسلم
تمثلتها منضورة الحسن طفلة ... يضىء الدجى منها جبين ومبسم
وطاوية عهد الدراسة كاعبا ... تروعك فيها نضرة وتوسم
ومجلوة للعرس وضاءة السنى ... تأود فى وشى الشباب وتنعم
وجامعة فى بيتها شمل بيتها ... توسطه كالبدر حفته أنجم
فمحمولة منه إلى ساح مفضل ... يقيل ويعفو عن كثير ويرحم[2]

(١) حول الأديب والواقع د/ عبد المحسن طه بدر ص ٢٠ طبعة دار المعارف ، الطبعة الثالثة
(٢) أنات حائرة ص ٢٩-٣٠

فالتجربة ذاتية تنبع من نفس الشاعر حين يتذكر ايام أنسه بزوجه، ولا ينسى أن يذكر أيام الصبا وشبابها ووضاءة وجهها وحنوها وعطفها على بنيها، ولا يلبث أن يكمل هذه التجربة التى غلب عليها الإشراق والنضارة حين عدد ملامح جمالها، بذكر نورارنية حياتها الآخرة فقد صورها فى ساحة الموت يغمرها العفو والرحمة من رب السماء، وقد عرض لمعاناته لفراق زوجه العاقلة الحكيمة، وقد اتسمت التجربة بالعمق من خلال كشفها عن حالته النفسية وتصبره لفراقها آملاً أن تكون فى دار النعيم، وتمتاز أيضاً بالدقة فى عرض تفاصيل تكشف عن حبه لها وحزنه لفراقها، فهى تجربة أصيلة نابعة من نفسه ومتسقة مع شعوره العام فى كل قصائده.

وقد تكون التجربة الذاتية عنده مشرقة تتلألأ وقد تكون باكية مؤلمة، فنراه يجمع بين موت زوجه وغروب الشمس فى صورة رمزية لانتهاء الحياة وفنائها فيقول:

قلـــت لمـــا رأيتهـــا تتهـــادى لمغيـب فـى جـوف يـم سـحيق
وهـى مصـفرة الأديـم كمـا اصـفر (م) مشـوق أضـناه نـأى مشـوق
أيـــه يـــا شـــمس العـــوالم تجـــرى فـــى بـــروج علويـــة التنســـيق
سـابق فـى سـديمه جد فـى السير (م) فـــأخلى الســـبيل للمســـبوق
ســـنة الكـــون والحيـــاة دواليـــك (م) غـروب مسـتأنف مـن شـروق
أنـت ذكرتنـى بشـمس مـن الحـور (م) وتوالـت فـى حسـنها المرمـوق
فـــى إطـــار مـــن لجـــلال وســـنى وطـــراز مـــن الشـــباب أنيـــق[1]

فالتجربة هنا غائمة قاتمة حزينة، فصورة غروب الشمس أثارت فى نفسه الحزن لموت زوجه، فجمع بينهما فى مشهد واحد، وتتجلى ملامح هذه التجربة الذاتية الغائمة فى قوله: تتهادى لمغيب.. جوف يم سحيق..مصفرة الأديم..أضناه..نأى.. ثم يندفع بالتجربة إلى النزعة الإيمانية العقلية السوية فيعترف بأن هذه سنة الكون.غروب مستأنف وشروق، فصورة الغروب بما تحمله من قتامة وحزن وألم تناسب حالته عند فراق الزوجة، ولكنه رغم هذا يشعر بشىء من الأمل ؛ لذا قال : وشروق، وهى كلمة تكشف عن ملمح جوهرى فى تجربة الشاعر فهو بكاء إنسان مقبل على الحياة.

(١) أنات حائرة ص ٣٨

وإذا كانت التجربة القاتمة الحزينة قد ظهرت فى بكائه فكثيراً ما كانت تتسم تجربته بالبهجة متذكراً تلك الليالى التى جمعتهما وهذه هى أكثر التجارب فى شعره . تجربة مقابلة الماضى بالحاضر . فيقول:

يـا ليلـة جمعتنـا بعـد طـول نـوى ذكـراك هاجـت لنـا الأشـجان ألوانـا
ذكرت ما كان من عرس جلوت بـه علـــى أكـــرم خلـــق الله إنســـانا
بيضاء هيفاء تحكى الصبح مؤتلقاً والـــروض متســـقا والبـــان ريانـــا
بتنـا تضـــىء ظـلام الليـل نشـوتنا وتسـتثير شـجون الليـل نجوانـا (١)

ويظل يسرد أيام السعد والسرور التى جمعتهما إلى أن يأتى إلى ذكر أيام البؤس فيقول :

أشكو إلـى الله بأسـاً مـا أطيـق لـه حمـــلاً وبثـــاً وأحزانـــا وحرمانـــا
وأنـه . عز فـى عُليـا مشـارفه . حين ابتلى لم يهب صبراً وإذعانا(٢)

وتجربة المقابلة بين الماضى والحاضر من أقوى التجارب التى عاشها الشاعر عزيز أباظة، وذلك لأن التجربة عنده ذاتية واقعية تنبع من نفسه وتستلهم من الواقع ما يجسدها، فهناك أحداث تدعو إلى الرثاء فيستلهم تجربته من الواقع فى قصيدة (أشجان رمضان) وقصيدة يوم ميلادك يا بنى..ولعل أقوى التجارب الواقعية التى عاشها الشاعر تتمثل فى وقوفه على قبرها، فهو مشهد واقعى كان نبعاً لتجربة الشاعر فيقول:

أإن بعـد الأحبـاب أعرضـت عنهمـو كمـــا أعرضـــوا أم زائـــر فمســـلم
دعـانى لهـا الشـوق الـدخيل وهزنـى إلـى المضـجع الأسـنى حنين مكتم
أفضـت لهـا حتـى إذا جئـت شـفنى تهيـــب أواه يهـــيم ويحجـــم
فـــلا أنـــا أســـطيع القفـــول فـــأنثنى ولا أنـــا أســـطيع المثـــول فأقـــدم
ولمـــا كففـــت الـــدمع إلا أقلـــه ونهنهـت فـى جنبـى نـاراً تضـرّم
دخلـت عليهـا فـى وضـوئى وروعتـى كمـا يـدخل البيـت المحـرم محـرم
فـــوالله مـــا انســـت إلا تألقـــاً ولا اســـتفت إلا ذاكيـــاً يتنســـم

(١) أنات حائرة ص ١٠٠-١٠١
(٢) أنات حائرة ص ١٠٢

وقفـت يقـص الـدهر تـاريخ غـابر من العمر والعمر ابتسام وأنعم (١)

فالتجربـة الواقعيـة واضـحة تمام الوضـوح، فنرى الشـاعر يقف باكياً على قبر زوجه وترتسم فى كلماته تفاصيل الواقع فى قوله :فمسلم.. المضجع الأسنى.. أفضت لها.. لا أستطيع القفول..لا أستطيع المثول.. كففت الدمع.. نهنهت.. فى جنبى نارا.. ثم يسترجع أيامه معها . على عادة زائرى القبور . فيقول: وقفت يقص الدهر... أليست هذه كلها مشاهد طبيعية يحسها الإنسان حين يقف على قبر من يحب؟ لا شك أن الشاعر استطاع فى هذا المشهد أن يرسم الصورة الواقعية بما فيها من جزئيات وتفاصيل وكشف عن معاناة حقيقية بالحدث.

ومن التجارب التى عاناها الشاعر التجربة التاريخية، أو تجربة استدعاء الماضى سواء أكان هذا الماضى خاص بالشاعر نفسه مع زوجه، أو الماضى من تجارب المراثى عند غيره من السابقين، أما عن تجربة استدعاء الماضى الخاص به فقد كان كثيراً فى شعره واستخدم كلمات تدل عليه مثل كلمة : (يذكرنى) أو (كانت) أو (كنا) ونحو ذلك وله قصيدة بعنوان: (ذكريات) جعلها مقاطع واستهل كل مقطع منها بقوله (يذكرنيك) يقول فيها :

يـــذكرنيك كـــل جليـــل أمـــر وكـل يسـيره فتـذوب نفسـى (٢)

ويقول أيضاً:

تـــذكرنيك أحـــداث الليـــالى فإنـك كنـت لـى منهـا مجنـا (٣)

وله أيضا قصيدة بعنوان أطياف الماضى استدعى فيها التجربة الماضية حين كانا فى (ميت غمر) وقد سبق الإشارة إليها، ومن التجارب أيضا تذكره لرمضان فيقول:

رمضـــان ويحـــك ذكرياتـــك جمـــة والـــذكريات ذخيـــرة المحـــزون (٤)

وهى تجارب تكشف عن عمق إحساسه وقدرته على الجمع بين الماضى والحاضر فى صورة مقابلة.

---

(١) أنات حائرة ص ٢٨ –٢٩.
(٢) أنات حائرة ص ٤٢.
(٣) أنات حائرة ص ٤٦.
(٤) أنات حائرة ص ٥٢.

وقد تكون التجربة تاريخية فيستدعى صورة زوجه حين يقف على قبر السيدة خديجة رضى الله عنها وهو يحاول أن يلقى بجانب من النورانية على زوجه، وتظل هذه التجارب التاريخية فى قصيدته (وحى يثرب) وقصيدة (أحد).

ومن الجدير بالذكر أن الشاعر قد ضمن ديوانه قصيدة فى رثاء صديقين له ولم يشر فيها إلى زوجه، مما يجعل القصيدة مقحمة على الديوان.

وقبل أن نترك الحديث عن التجربة الشعرية عند عزيز أباظة لابد من الإشارة إلى أن قصائد الرثاء عنده خلت من التجربة الخيالية، وكان الموضوع فى حاجة لمثل هذا الخيال، كأن يستحضر صورة زوجه تشاركه موقفاً ما، خاصة وأن مواقف استدعاءها متكررة كمناسبات أعياد الميلاد ورمضان ورحلة الحج، فقد استدعى وجودها ولكنه لم يكن يتخيل أنها تحدثه أو أن يدور بينها وبينه حوار ما، مما قد يعمق التجربة الخيالية.

ومما يؤخذ على الشاعر فى تجارب ديوانه استفاضته فى عرض رحلة الحج فرغم أن الرحلة لها قدسيتها التى تبهرنا كما انبهر بها الشاعر إلا أنه يؤخذ عليه أمران، الأول : أنه استفاض فى هذا الموضوع استفاضة لا تتناسب مع موضوع الديوان (رثاء الزوجة) الثانى: أنه اعتمد فى أغلب القصائد على السرد وتسجيل الأحداث مما جعل تجربته سطحية.

وبعد فالشاعر عزيز أباظة صاحب تجربة ذاتية عميقة جديرة بأن توصف بالعمق والإنسانية وكشفت عن انفعال حقيقى بالحدث.

ثانيا :د/رجب البيومى

تنوعت تجربة الرثاء عند د/ بيومى تنوعاً واضحاً بين تجربة ذاتية وغيرية وواقعية وتذكرية خيالية وكان أكثرها ظهوراً فى قصائده التجربة الذاتية التى نبعت من نفسه، ففى قصيدته (لا تغب) يخاطب زوجه الراحلة قائلاً:

لا تغــب أيهــا المحيــا الجميــل إن حزنـــى عليـــك مـــر ثقيـــل
لا تغــب فـــالظلام بعـــدك يشـــتد ومـــا عـــن ســـناك أنـــت بـــديل
إن أمســـى مـــذ احتجبـــت كيـــومى مـــــدلهم والتاليـــــات شـــــكول
مـا بـه مـن صبا تمـر علـى الـروح كهـــدى والـــدوح منـــك ظليـــل

مـا بـه مـن بشاشـة تـنعش الـنفس كهـدى والمـزح منـك خجـول (١)

فالتجربـة هنـا مؤلمـة نزلـت علـى الشـاعر كالصـاعقة وتمثلـت هـذه التجربـة فـى حالـة الغياب التى سيطرت على نفس الشاعر فجعلته يعيش حالة من الحزن المر الثقيل، وكذلك حالـة الظـلام فـى مقابلـة النـور الـذى يسـعده فـى جوارهـا، ثـم يبـين حالـة التمـزق النفسـى فقـد تحولت الأيام أشبه ببعضـها اليوم كالأمس وكالغد، فهذه التجربـة قـد جعلـت عاطفتـه يائسـة لا أمل لـه فـى الحيـاة، ويظـل فـى حالـة اليـأس إلـى أن يسـترجع سـالف عهـده الجميـل بهـا، والتجربـة تمتـاز بـالعمق والدقـة فـى عـرض التفاصـيل والمناسـبة للحـدث فنـرى العهـد السـالف يمتاز بجمال الدوح الظليل.. والبشاشة... والسنا الوضاء... والمحيا الجميل، وإذا ما صـور التجربة المأساوية نرى الكلمات: مر.. ثقيل.. ظلام، وهذه كلها كلمات كشفت عن تجربتـه بدقة.

وتظـل صـورة المقابلـة فـى خـاطر شـاعرنا فـى كـل وقـت وحـين ففـى موقـف المـأتم يستدعى صورتها وهى ترسم السعادة فى البيت فموتها موت للسعادة فيقول :

يصـارع قلبـى الشـوق وهـو وحيـد لعمـر الهـوى هـذا عليـه شـديد
لعمـر الهـوى والقبـر مجتمـه الهـوى طـواه عـن الأنظـار فهـو فقيـد
تشـبث معنـاه العميـق بخـاطرى وغلغـل فـى نفسـى فلـيس يبيـد
يعيـد لـى الماضـى فأشـهد منزلـى وفردوسـه ضـافى الهنـاء رغيـد
وأبصـر ريحـا زعزعـاً عصـفت بـه وبـى فكلانـا فـى العـراء حصـيد
تناجـت مقـروراً وهيهـات أرتجـى لقلبـى الـدفء ذاك بعيـد
خـواء أعانيـه فـإن رمـت ملئـه ترامـت بـى الأشـجان وهـى حشـود(٢)

ففى هذه القصيدة يكشف عن تجربة عميقة لحالته الشعورية المأساوية وقد وقف يرى زوجه تنزل لقبرها وتتركه وحيداً فى مهب الريح يصارع أهوال الحياة منفرداً، وينوه إلى أنـه كان يعيش فى فردوس الحياة فى ظلها، أما وقد غدت مقبوره فقد غدت حالته إلى صراع يفتك بـه، ونـرى هـذا الصـراع فـى قولـه : يصـارع قلبـى.. وحيـداً.. شـديد... طـواه عـن

(١) حصاد الدمع ص ٧٣
(٢) حصاد الدمع ص ١٠٠

الأنظار.. فقيد.. تشبث..غلغل.. ليس يبيد ريحاً زعزعا.. عصفت.. حصيد.. مقروراً.. خواء.. الأشجان.. فهذه الكلمات كلها كشفت عن تجربته التى تمزق أحشاءه ؛ لذا امتازت هذه الأبيات بقوة التجربة وعمقها فى نفسه وأصالتها، وقد تكون معانى هذه الأبيات تتردد فى شعر غيره مما يجعل التجربة مشابهة لغيره، إلا أنه استطاع أن يرسم الحدث فى صورة تجمع بين الشعور والواقع بصورة قوية جميلة.

والتجربة الذاتية تظهر عنده بوضوح فى بعض القصائد رغم أن عنوان القصيدة قد يوهم أنها تجربة غيرية فقى قصيدة له بعنوان: أكباد أطفالى يوهم ظاهرها أنه سيتحدث عن شعور غيره . شعور أولاده . ولكنه فى القصيدة يكشف عن تجربته الذاتية النابعة من نفسه، فيقول:

أكبـــاد أطفـــالى دهتـــك النـــار أيعيش فـى لهـب الجحـيم صـغار
أكبـــاد أطفـــالى كففـــت مـــدامعى ورأيـــتكن فهـــاحنى اســـتعبار
لـم يـا حمـام هصرت غصن شبابها ولـــه غصـــون غضـــة وثمـــار[1]

فهو حزين لفراقها لأن أبناءه سيذوقون وهم الضعاف آلام فراقها وهذا مما يزيد من مأساته، فهو لا يسلط الضوء على الأبناء بقدر ما يكشف عن ألمه لمشهد حزنهم وبكائهم لذا قال : كففت مدامعى.. هاجنى استعبار.

ثم يستطرد بعد ذلك فى وصف محاسنها وطيب خلالها ويصور مشهد موتها فيقول :

أتمثـــل الأطفـــال فـــى حســـراتهم فـــأفر إذ لا يســـتحب فـــرار
كـــل يســـر شـــجونه متحرقـــاً كمـــدا ولا يخفـــى عليـــا ســـرار
وتجـئ (غـادة) وهـى ذات ثلاثـة ولهـا كربـات الحجـا استفسـار
فتقـول أمـى يـا أبـى قـد أبطـات بـــالله أيـــن مكانهـــا فتـــزار [2]

(١) حصاد الدمع ص ١٦
(٢) حصاد الدمع ص ١٧-١٨

فهو يرسم مشهد بكاء الأطفال ليصل إلى تجربته الذاتية وأثر هذا الحزن والبكاء الذى يراه فى عيون أولاده على نفسه، فرغم أن القصيدة يوهم ظاهرها أنها تجربة غيرية إلا أنها تجربة ذاتية خالصة.

وإذا كان عزيز أباظة قد تعمقت فى نفسه التجربة حين جعل موتها غروباً للشمس فقد كان د/بيومى أكثر عمقاً حين جعل موتها مصرعاً للشمس وجفافاً للنهر.

وقد يعمد د/بيومى إلى التجربة الواقعية وتبلغ به الواقعية إلى درجة التعبير بلغة لا تبتعد عن الواقع، فيقول :

يقولـون (ماما) كلما عن مشكل وأولى بهم أن يسكتوا لو تعقلوا
يقولون (ماما) ما الذى أنا صانع؟ ومن دون (ماماهم) تراب وجندل
يصيحون بى هلا ذهبت تعيدها كأنى برد الراحلين موكل[1]

فتفاصيل هذه التجربة واقعية إلى درجة بعيدة حتى إنه استخدم ألفاظا غير فصيحة (ماما) حتى يرسم المشهد بدقة.

ومن التجارب التى عالجها تجربة التذكر وهى أيضاً كثيرة فى شعره فيستخدم الفعل كان بمشتقاته للدلالة على تغير الأيام فيقول :

بعد أن كنت كل شىء لديا كيف بالله تبعدين عليا؟
وكنت تشكين إن تغيبت وقتا أفيغدوا فراقنا أبديا؟! [2]

ومن التجارب التى عالجها أيضاً التجربة الغيرية فيجمع فى هذه التجربة بين مأساته ومأساة من نكبوا مثله بقد زوجاتهم فيتحدث عن الملك الهندى (شاهجهان) الذى فجع بموت زوجه وبنى لها أجمل ضريح فى العالم (تاج محل) فيقول جامعاً بين مصابه ومصاب (شاهجهان) :

عرفت مصابك يا شهجهان فأدركت كيف رماك الزمان
قرأت فأطرقت إطراق من رأى خطراً ماحقاً فاستكان
فلما رميت بما قد دهاك رأيت مصابك مرأى العيان

(١) حصاد الدمع ص ٢٥.
(٢) حصاد الدمع ص ٥٣

دهانـــا الـــردى ظالمـــا مجحفـــاً فأعمـل فينـا المـدى والسـنان (١)

ورغم ان التجربة غيرية إلا أنه استطاع أن يجمع بين شعوره وشعور الملك، فيقول عرفت.. أدركت.. قرأت.. أطرقت.. رميت.. رأيت مصابك..دهانا الردى..وقد جعل التجربة بينهما واحدة ونابعة منه ومعبرة عن شعوره فرغم أنها تجربة غيرية إلا أنه استطاع أن يجمع فيها بين شعوره وشعور الملك المكلوم.

وللدكتور بيومى قصيدة بعنوان (تاج محل) يرثى فيها زوجة الملك وكتبها قبل وفاة زوجه وهو فى هذه القصيدة معجب بجمال الضريح، ومعنى بالكشف عن مدى فجيعة الملك فى زوجه، ولكنه فى هذه القصيدة مختلف فى إحساسه عن القصيدة السابقة فليس فيها مشاعر اللهفة فيقول فى وصف الضريح :

أضـــاع عليـــه شـــاهجهان كنـــوزه وخـال الـذى أهداه محتقراً نـزرا (٢)

لكنه فى القصيدة التى كتبها بعد وفاة زوجه يقول:

إليـــك قصـــيدى يـــا شـــاهجهان فقد صرت فـى خـاطرى الترجمـان(٣)

والتجربة الخيالية من التجارب الرائعة عند د / بيومى وفيها يتخيل رحلة الموت وأنه بصحبتها، فيقول:

صـح عنـدى أن المنيـة تهـوى مثـل أهـل الغـرام كـل جميـل
وقـد تتبعـت خطوهـا فتـراءت صـبوات الـردى بكـل سـبيل
قـد شـهدنا أهـل الجمـال لـدينا أسـرع النـاس دائمـا فـى الرحيـل(٤)

(١) حصاد الدمع ص ٩١
(٢) حصاد الدمع ص ٩٤
(٣) حصاد الدمع ص ٩٢
(٤) حصاد الدمع ص ٨٩

فهذه رحلة من العشق طالما أنه فى جوار زوجه الجميلة، وله قصيدة أخرى خيالية بعنوان: التلفزيون تخيله فرداً من الأسره يشاركهم الحزن والألم والحداد، فيقول :

انتحـــر لمســـكين إذ تباعـــــدت ربتـــــه
بكـــى عليهـــا صـــامتا واتقـــــدت حســـــرته
ماتـت فمـا مـن عجـب إذا تســـــنى موتـــــه
لقـــد لعمـــرى هزنـــى منـــه جـــوى جربتـــه
أهكـــــذا أتركـــــه ومحنتـــــى محنتـــــه
عانقتـــــه محتضـــــنا أبكـــى وقـــد قبلتـــه[1]

وجمال هذ التجربة أنه استطاع أن ينقل الواقع فى صورة خيالية طريفة.

وللدكتور بيومى تجربة فلسفية نابعة من الفكر وتتسم بالتأمل وتجلت هذه التجربة فى قصيدة: ازردواج التى يقول فيها :

الظـــاعنون وليـــتهم قطنـــوا والقـــاطنون وليـــتهم ظعنـــوا
صـــنوان لـــو لاقـــى بعيـــدهم وضـــع القريـــب لأمتـــع الـــزمن
الظـــاعنون وفيهمـــو أمـــل فـــرد ســـواه لـــدى ممـــتهن
هـــو مثـــل عينـــى أو أعـــز فـــإن أذكـــره فتـــت قلبـــى الشـــجن [2]

وله قصيدة فلسفية أخرى تأملية بعنوان: (الموت يتكلم)تكشف عن تفكير عميق يقول فيها:

يـــا رب ملتـــاع كئيـــب عذبتـــه يـــد القـــدر
غمرتـــه دنيـــاه بمختلـــف الحـــوادث والفكـــر
وجـــد الحمـــام يريحـــه ممـــا يكابـــد فـــانتحر
–
يـــامن يـــراع إذا تمثـــل صـــورتى، فـــيم ارتياعـــك؟

(١) حصاد الدمع ص ٩٢
(٢) حصاد الدمع ص ٨٢

هـون عليـك ففـى ابتعـادك عـن بنـى الـدنيا انتفاعـك!

هـون عليـك ففـى ابتعـادك عـن بنـى الـدنيا انتفاعـك! (١)

وبهذا نـرى التجربـة عنـد د/ رجـب بيـومى قـد تنوعـت تنوعـاً واضـحاً وتناولهـا كلهـا بصورة دقيقة كشفت عن عمق قصيدة الرثاء عنده وأصالتها.

ثالثا :بين الشاعرين

كـلا الشـاعرين أجـاد فـى تجربتـه واستطاعا أن ينفعلا بالحدث انفعـالاً صـادقاً وتمكنـا من أن ينوعا التجارب بين ذاتية وواقعية.. وغير ذلك وكانت التجربة الذاتيـة أكثر التجـارب ظهوراً عندهما وحتى التجربة التى يوهم ظاهرها أنها غيرية حين تحدث د/بيومى عن أولاده هى تجربة ذاتية أيضا كشفت عن عميق إحساسه بمأساة أبنائه وحزنهم، ورغم هذا الاتفاق بينهما إلا أنهما اختلفا فى أمور :

فقد جعل عزيز أباظة موت زوجه غروبا لشمس حياته وهى صورة نابعة من تجربـة رومانسية مأساوية تمتزج فيها الطبيعـة بالحـب بالبكـاء ولكـن د/ بيـومى كـان أكثـر دقـة وعمقا وتنوعا، فقد كان اختيار كلمة مصرع الشمس كتعبير يدل على موت زوجه أكثر دقـة فـى الدلالـة علـى عمـق التجربـة ومـدى الحـزن، كمـا كانـت متنوعـة حـين أردف هـذه الصـورة بصـورة جفـاف النهـر، فتجربـة د/بيـومى تـدل علـى مـدى الفجيعـة بصـورة أقـوى وأعمق.

لـم يعـن د/ بيـومى بالتجربـة التاريخيـة فـى حـين عنـى الشـاعرعزيز أباظـة بالتجربـة التاريخية التى اعتمد فيها على الموروث الدينى، كما لم يعن عزيز أباظة بالتجربة الغيرية فى حين اهتم د /بيومى بالتجربة الغيرية فى قصيدته شاهجهان، كما أبدع د بيومى فى عرض تجربته حين ماتت أخت زوجه، فقد جعل رثاءه لاختها رثاءً لها، أما عزيز أباظة فقد رثى اثنين من أصدقائه ولم يشر إلى زوجه مطلقاً.

رغم خياليـة الأداء الشـعرى عند عزيـز أباظـة إلا أنـه لـم يوظـف موقفاً خيالياً دراميـاً يكشف عن تجربة خيالية عميقة بجلاف الدكتور بيومى الذى حشد حواراً مع التلفاز امتزج فيه الواقع بالخيال بصورة جيدة.

(١) حصاد الدمع ص ١١٩

استطرد عزيز أباظة عن رحلة الحج مما جعل القصائد تبدو كأنها مقحمة على الديوان.

وبعد فقد كان د/بيومى أكثر تنوعاً فى تجاربه من عزيز أباظة لكنهما اتسما بقوة ودقة وأصالة التجربة.

المبحث الثانى

العاطفـة

العاطفة هى الحالة النفسية الناشئة عن التجربة وهى أثر إحساس الشاعر بالموقف أو الحدث (التجربة) وأصالة التجربة يتبعها صدق العاطفة فهما متلازمان وقد يتعرض كل الناس للتجارب بشتى أنواعها، ولكن الانفعال الحقيقى لا يكون إلا فى نفس الشاعر المبدع الذى يستطيع أن ينفعل بهذه التجربة انفعالاً كاملاً ومن ثم يصورها تصويراً دقيقاً، وهذا يدل على مدى ارتباط العلاقة بين التصوير والتصور.

والعاطفة تقوم على صدق الإحساس وعمق وارتفاع طبقة التفكير، فهى تقوم على الإحساس مدعوما بالعقل والتفكير، والصدق فى العاطفة أهم ما يرقى بها ويدعم نجاح العمل الأدبى، وتزوير العاطفة يؤدى إلى فساد العمل الأدبى وتناقضه : يقول ميخائيل نعيمة " إن روح الشاعر تسمع دقات أنباض الحياة، وقلبه يردد صداها، ولسانه يتكلم بفضلة قلبه، تتأثر نفسه من مشهد يراه، أو نغمة يسمعها، فتتولد فى رأسه أفكار، ترافقه فى الحلم واليقظة، فتمتلك كل جارحة من جوارحه، حتى تصبح حملا يطلب التخلص منه، وهنا يجد نفسه مدفوعاً إلى القلم ليفسح مجالاً لكل ما يجيش فى صدره من الانفعالات، وفى رأسه من التصورات ولا يستريح تماماً حتى يأتى على آخر قافية" (١)

وبذلك نستطيع القول بأن عملية الخلق الأدبى تمر بثلاثة مراحل :

١. المعايشة الأصيلة للتجربة.
٢. الانفعال الحقيقى الصادق العميق بهذه التجربة.
٣. التعبير الفنى الجميل عن هذه التجربة وهذا الانفعال العاطفى.

وسوف يعرض البحث مدى صدق العاطفة عند شاعرينا.

(١) الغربال ميخائيل نعيمة ص ٧٤ طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٦م

أولاً : عزيز أباظة

تجربة موت الزوجة تركت فى نفس الشاعر عزيز أباظة عاطفة الحزن والألم، وهى عاطفة ملازمة له فى كل القصائد، قصائد بكائه لها، وقصائد استرجاع أيام الأنس بها فلا يلبث أن يعقبها بالأسى والأنين فنراه يقول :

أضنيت أسوان ما ترقى مدامعه ... وهجت فوق حشايا السهد حيرانا
يبيت يودع سمح الليل عاطفة ... ضاق النهار بها سترا وكتمانا
ويرسل الشجو فى سر الدجى حرقا ... لو الدجى قُدّ من صخر إذن لانا
وأدمعا من حنايا القلب ساكبة ... وقد يدمع القلب دون العين أحيانا
أشكو على الله باساً ما أطيق له ... حملا وبثاً وأحزانا وحرمانا (١)

فالأبيات تكشف عن عاطفة الحزن والألم، نرى ذلك جلياً فى أسوان..مدامع.. حشايا.. السهد.. حيران.. يودع سمع الليل.. الشجو..حرقاً.. حنايا القلب.. ساكبة.. باساً ما اطيق..بثاً.. أحزاناً.. حرمانا، وهذه كلها عبارات تكشف عن عاطفة صادقة، ويتجلى صدق العاطفة فى أن الشاعر استطاع أن يجانس بين شعوره والواقع، فهو يبدو أمام الناس صابراً لكنه فى الليل يعانى آلآم الفراق، وهذا انسجام فى أدائه الشعرى يكشف عن صدق عاطفته.

وقد تختلط عاطفته الحزينة بالأمل خاصة حين يخاطب أولاده ويدعوهم للصبر فيقول:

يا ابن أحلامى وروحى ودمى ... وصمام الأمن عند النازلات
إنما أنت بقايا أمل ... لاح لى بين طوايا الظلمات
قل لاختيك اسلما واستسلما ... واطلبا بالصبر أجر الصابرات (٢)

فعاطفة الأمل فى الحياة تسيطر عليه حين يدعو أولاده لمواصلة الحياة، لكنه يفصل بينه وبينهم حيث يبدو راغبا عن الدنيا، فيقول:

---

(١) أنات حائرة ص ١٠٢
(٢) أنات حائرة ص ٩٣

أنـــا إن عشـــت فحســـبى متعـــة أن أذيـب العمـر بـين الـذكريات (١)

ورغم هذا فإنه فى قصائد أخرى يصرح بصبره وأنه متحمل لألم هذا المصاب فيقول:

لـــذت بالصـــبر فلـــذ أنـــت بـــه وتماســـك رب صـــبر نفعـــا (٢)

فهذا البيت كشف عن عاطفة عزيز أباظة التى اتسمت بالصبر.

وقد غلبت عليه العاطفة الإيمانية فى قصائد الحج فامتلأت هذه القصائد بعاطفة الإيمان والرضا والطمأنينة، فيقول فى قصيدة (فى بطحاء مكة):

رفعـت الأرض حولهـا والسـماء وتنـاهى لهـا السـنى والسـناء
وزكـا عنـدها الهـدى فـإذا الكـون (م) جمـــال ورحمـــة وإخـــاء
قـف ببطحائهـا قبالـة بيـت الله (م) واخشـــع فإنهـــا البطحـــاء(٣)

فنورانية المقدسات تتجلى فى هذه الأبيات فهى تعكس عاطفة مشرقة بالإيمان، ولكن هذه العاطفة يشوبها الحزن لعدم صحبة زوجه، أما عن عاطفة التامل فهى قليلة فى شعر عزيز أباظة لا تتعدى بضع أبيات تحدث فيها عن حقيقة الموت فيقول:

وإن حـــم القضـــاء فـــلا أســـاة وقـد يجـرى الـردى بيـد الأسـاة(٤)

وبعد فإننا نستطيع القول بأن عاطفة عزيز أباظة عاطفة حزينة امتازت بالصدق والإخلاص مما دل على عمق الماساة فى نفسه.

ثانياً د/ رجب البيومى

اتسمت عاطفة د/بيومى بالحزن والألم فى كل قصائده، وأصبح الأنين ملازماً له فى كل كلماته وعباراته فيقول :

---

(١) أنات حائرة ص ٩٤
(٢) أنات حائرة ص ٢٤
(٣) أنات حائرة ص ٥٥
(٤) أنات حائرة ص ٥٠

لا تغــب أيهــا المحيــا الجميــل إن حزنـــى عليـــك مـــر ثقيـــل
لا تغــب فـــالظلام بعــدك يشـــتد ومـــا عـــن ســـناك أنـــت بـــديل
إن أمســـى مـــذ احتجبـــت كيـــومى مـــــدلهم والتاليـــــات شـــــكول
مـا بـه مـن صبا تمـر علـى الـروح كعهـدى والـدوح منـك ظليـل (١)

فعاطفة الحزن والألم تقطع قلب الشاعر، بعدما فارقته زوجه، وحين يتحدث عن أبنائه لا نرى الصبر والتحمل الذى كنا نرى صداه فى قصائد عزيز أباظة، فيقول:

أكبـــاد أطفـــالى دهتـــك النـــار أيعيش فـى لهـب الجحـيم صـغار
أكبـــاد أطفـــالى كففـــت مـــدامعى ورأيـــتكن فهـــاحنى اســـتعبار
لـم يـا حمـام هصـرت غصـن شبابها ولـــه غصـــون غضـــة وثمـــار (٢)

فهو فى هذه الأبيات يتألم لفراقها لذا غلبت عليه عاطفة الحزن، ومما زاده ألماً أنه يرى أولاده يبكون ويتألمون فتضاعفت الآلام فى نفسه، لذا فصورة أولاده تزيد من بكائه ولا تدعوه للصبر.

وتتكرر مثل هذه العواطف الحزينة فى كل قصائد الديوان، فنراه بعد مرور عام من وفاتها يبكيها، فيقول :

أريد أن أنسى وأين منـى
وطيفك الماثل نصب عينى (٣)

وبهذا نرى أنه غلبت عليه عاطفة الحزن وندر أن نلاحظ عاطفة أمل واحدة تراوده، وقد تظهر عليه النواحى العقلية التأملية وخاصة فى القصائد التى تحدث فيها عن حقيقة الموت مثل قصيدته: الموت يتكلم التى يقول فيها :

أولست فـى دنيـاك تسبح فـى خضـم هائـل
يغشـاك مـوج فـوق مـوج تحـت غيـث هاطـل

(١) حصاد الدمع ص ٧٣
(٢) حصاد الدمع ص ١٦
(٣) حصاد الدمع ص ٣٩

لـم لا تسـر إذا وصـلت مبكـرا للسـاحل (١)

وبعد فهذه ملامح العاطفة عند د/ بيومى وهى تكشف عن صدق انفعاله بالحدث.

ثالثاً : بين الشاعرين

كـلا الشـاعرين كـان صـادق العاطفـة والعاطفـة عنـدهما حزينـة، ولكـن عزيـز أباظـة تنوعت عنده العواطف بين الحزن والأمل والإيمان والتأمل، أما د /رجب فقد غلبت عليه عاطفة الحزن والتأمل فقط، كما اتسم عزيز أباظة بالصبر والتحمل واتسم د/ بيومى بعمق العاطفة القائمة على التأمل.

(١) حصاد الدمع ص ١١٧

المبحث الثالث

بناء القصيدة(١)

المقصود ببناء القصيدة تماسك أبياتها وتآزر صورها وتلاحم أفكارها وعناصرها بما يكشف عن تصور عقلى مقبول وليس تصوراً منطقياً هندسياً، فالبناء الهندسى الدقيق فى القصيدة غير متخيل الحدوث، لأن القصيدة حالة وجدانية عاطفية أكثر من كونها إطاراً هندسياً منسق الحدود والتفاصيل، إذن لابد أن يجانس الشاعر بين أجزاء وتفاصيل العمل الأدبى الشعورية والتعبيرية حتى يظهر عمله الأدبى تام الخلقة منتظم الأعضاء متجانس الأفكار، وقد نبه النقاد الغربيون إلى هذا الأمر فأفلاطون يقول :"أحسب أنك توافقنى على أن كل خطاب يجب أن يكون منظماً مثل الكائن الحى، ذا جسم خاص به كما هو، فلا يكون مبتور الرأس أو القدم ولكنه فى جسده وأعضائه مؤتلف بحيث تتحقق الصلة بين كل عضو وآخر ثم بين الأعضاء جميعاً"(٢)

هذا عن البناء العضوى أما البناء الموضوعى، فقد رفض النقاد أن يجمع الشاعر فى قصيدته بين موضوعين مختلفين لأن هذا يوحى بانقطاع الحالة الشعورية التى تربط بينهما، وقد شاع فى النقد الحديث أن القصيدة العربية القديمة تفتقد الوحدة الموضوعية والعضوية مدللين على ذلك بتنوع الموضوعات داخل القصيدة الواحدة واستقلالية البيت عن سابقه ولاحقه، والحقيقة أن القصيدة العربية القديمة اتسمت بالتجانس والاتساق حتى وإن اختلفت موضوعاتها ظاهرياً إلا أنها تنسجم وتتفق داخلياً ونفسياً.

أما عن شاعرينا فقد اتسم شعرهما بوحدة الموضوع بطبيعة الحال لأن ديوانيهما فى غرض واحد . وهو الرثاء . وهى ظاهرة عرفت فى العصر الحديث وهى أن يكون للديوان فكرة واحدة تجمع أجزاءه وتضم شتات أفكاره، فليس هناك تنوع فى الموضوعات داخل الديوان عند عزيز أباظة ولا عند د/ بيومى، وهذا راجع إلى طبيعة الموضوع نفسه فى

---

(١) تناول النقاد القدامى قضية وحدة القصيدة وبناءها العضوى والموضوعى ،من هؤلاء النقاد ابن طباطبا العلوى فى عيار الشعر والحاتمى فيما يرويه ابن رشيق عنه فى العمدة وابن الأثير فى المثل السائر ،وفى العصر الحديث تناول أعلام مدرسة الديوان هذه القضية بوضوح.

(٢) معالم النقد الأدبى د/عبد الرحمن عثمان ص ٦١-٦٢ مطبعة المدنىتوزيع دار المعارف سنة ١٩٦٨م

الشعر العربى فقد اتسمت قصائد الرثاء بالوحدة الموضوعية، فالشاعر حين يرثى لا يحتاج إلى دافع نفسى قوى يدفعه أكثر من إحساسه الصادق بالفجيعة، وهذا الشعور الداخلى عنده كفيل بأن يؤثر نفسياً على المتلقى وأن يجذب شعوره، لذا فقد نأى الشعراء عن استهلال قصائدهم بالمقدمات المختلفة المعروفة فى قديم الشعر فى غير شعر الرثاء.

وسوف نتعرف على بناء القصيدة عند شاعرينا.

أولاً : عزيز أباظة.

أجاد عزيز أباظة فى اختيار عناوين قصائده، فقد اتسم بعضها بالنزعة الباكية بطبيعة الحال مختلطة بالنزعة الرومانسية، من هذه العناوين قصيدة (أمنية)(الزيارة الأول) (وحى الغروب) (نجوى) (ليلة وليلة) ومن القصائد ما دل عنوانها على التذكر مثل قصيدة (من أطياف الماضى) (ذكريات) (أشجان رمضان) (يوم ميلادى) (يوم ميلادك يا بنى)(توقيعات) ومن العناوين ما دل على معانى إيمانية روحية نورانية عاشها الشاعر وتذكر فيها زوجه من ذلك قصيدة (عهد الله) (فى بطحاء مكة) (على عرفات) (فى عوالى منى) (على قبر خديجة أم المومنين) (وحى يثرب) (أحد) (ساعة فى البقيع)، فعنوانين القصائد دلت على الحالة النفسية للشاعر بدقة ووضوح.

أما عن عضوية القصيدة فقد استطاع عزيز أباظة أن ينسج قصائده فى إطار عضوى جميل فلا نجد فكرة مقحمة فى قصائده ففى قصيدته (وحى الغروب) يوظف الطبيعة فى تصوير حزنه ومشاركتها له فى البكاء والنحيب على لفقد الزوجة الحبيبة، فيستهل القصيدة بالربط بين موتها وغروب الشمس فيقول:

قلـــت لمـــا رأيتهـــا تتهـــادى لمغيـب فـى جـوف يـم سـحيق
وهـى مصـفرة الأديـم كمـا اصفـ ـر مشـوق أضـناه نـأى مشـوق
أنـت ذكرتنـى بشـمس مـن الحـو ر توالـت فـى حسـنها المرمـوق[1]

ثم يتعمق فى وصف محاسنها وجمالها ومشهد موتها رابطاً بينها وبين الشمس:

(١)أنات حائرة ص ٣٨

ومضـــت تنـــزع الحيـــاة وتلقـــى فـــى زفيـــرٍ أعبائهـــا وشـــهيق
فـــى ســـنى لامـــح وعـــرف ذكـــى وابتســـام عـــذب ووجـــه طليـــق(١)

ثم ينطلق بعد ذلك للحديث عن مكانتها فى قلبه فى أسلوب غزلى وربط ذلك بالطبيعة الجميلة فيقول :

نتســـاقى رحيـــق لهـــو كـــريم أيـــن منـــى مســـكوب ذاك الرحيـــق
عند شط الغدير والقصر ذى الأعلام (م) **والـــروض ذى الـــرواء الأنيـــق**
ومرائـــى الربيـــع فـــى حلـــل الريـــف (م) **وموشـــى نســـجه المنســـوق**(٢)

ويظل فى إطار هذه المعانى دون أى نشاز أو إقحام فكرة إلى أن يصل إلى نهاية القصيدة فيقول :

ذهبـــت كالنـــدى تـــألق فـــوق الزهـــر (م) **فـــى غـــرة الصـــباح الطليـــق**
ومضـــت كانطلاقـــةٍ مـــن أســـار ونأنـــت كانفراجـــة مـــن ضـــيق
والبـــواكير للخـــواتيم تفضـــى وهمـــا هامـــة الفنـــاء الســـحيق(٣)

وبناء القصيدة هنا يأتى منسجماً متناغماً لا نشاز فيه ولا إقحام لأفكار، لذا جاء البناء عضوياً جميلاً اعتمد فى معماريته على ربط الغزل بالرثاء بالطبيعة فى صورة دقيقة جميلة.

وقصائد ديوان أنات حائرة تشكل حالة معمارية متنوعة منها:

١. ما يقوم على استبطان الذات واجتلاء الشعور وتحليل النفس وتسليط الضوء على وجدان الشاعر مثل قصيدة :(نجوى) وقصيدة: (وحى الغروب).

٢. قصائد تقوم على الضغط النفسى والإحساس بالضعف، مثل قصيدة :(رب صبر نفعا).

---

(١) أنات حائرة ص ٣٩
(٢) أنات حائرة ص ٤٠
(٣) أنات حائرة ص ٤١

٣. قصائد تقوم على أسلوب المناجاة، مثل قصيدة: (أمنية).

٤. قصائد تقوم على أسلوب الحكاية والذكريات، مثل قصيدة :(من أطياف الماضى) وقصيدة :(ذكريات) :وقصيدة (أشجان رمضان).

٥. قصائد تقوم على الحركة، وظهرت بصورة واضحة فى رحلة الحج، مثل قصيدة : (فى بطحاء مكة) وقصيدة :(على عرفات)وقصيدة :(من عوالى منى) وقصيدة :(أيام التشريق) وقصيدة :(ساعة فى البقيع).

٦. قصائد قامت على التناقض مثل قصيدة :(ليلة وليلة).

وهذه القصائد تتبع من وحدة شعورية ظهر صداها فى وحدة البناء وحسن تركيبه وانسجام عناصر القصيدة.

ثانيا :د/رجب البيومى

اتسمت عناوين قصائد د /رجب بالنزعة الباكية من ذلك قصيدته :(مصرع الشمس) (دار السقام)(وازوجاه) (ديار الصامتين)(لا تغب) (فى مأتم الشوق).

ومن التجارب ما دل عنوانها على تجربة التذكر، مثل قصيدة :(بعد عام) ومنها ما دل على تجربة تخيلية، مثل قصيدة :(التلفزيون) (بريد غير منتظر)ومنها ما دل عنوانه على تجربة تأملية، مثل قصيدة:(الموت العاشق) (الموت يتكلم) فهذه العناوين تدل على دقة فى الاختيار تتناسب مع تجربته الشعورية.

وإذا تأملنا البناء العضوى فى إحدى قصائده فإن أروع قصيدة يمكن أن تطالعنا قصيدة مصرع الشمس فقد استهل القصيدة بالكشف عن مدى الترابط النفسى بينهما فيقول :

بكيت عليها أم بيكيت على نحسى كلاالجانبين استغرق الجهد من بؤسى[١]

(١) حصاد الدمع ص ٣٠

ثم يصور بعد ذلك مأساته بفراقها ومعاناته الشديدة فيقول:

إذا ارتحت من سكب الدموع هنيهة تأوهت من وقع المطارق فى رأسى(١)

ثم ينتقل بعد ذلك إلى وصفها بالشمس وبالنهر وأنها مصدر الحياة له كما أن النهر والشمس مصدر حياة البشر، فيقول :

فيا مصرعاً للشمس فى رونق الضحى شهدت لقد راع الحجا مصرع الشمس
وبالجفاف النهر والقيظ لافح وقد ذاب من حر الصدى ذابل الغرس(٢)

ثم ينتقل إلى وصف حاله بعدها وكيف أنها كانت سلواه فى حياته فيقول:

اذا اشتدت البأساء بى فاض ثغرها بنور ابتسام يذهب الضيق عن نفسى(٣)

ثم يعرج إلى وصف جمالها وحسنها فيقول:

إذاك الجبين الطلق يطفأ نوره وكان يشيع الحسن فى عالم الأنس(٤)

إلى أن ينتهى من القصيدة مؤكدا عدم نسيانه لها فيقول:

إذا خفف النسيان أشجان معشر فإنى من الأشجان قد أترعت(٥)

وهكذا نرى الشاعر يسير فى تسلسل منطقى ودقة تكشف عن تفاصيل تجربته وفهمه الواعى لأبعاد هذه التجربة، ولم يقحم فكرة على القصيدة، كما لم يكن فى القصيدة أى تخبط فى ترتيب الأفكار.

---

(١) حصاد الدمع ص ٣٠
(٢) حصاد الدمع ص ٣١
(٣) حصاد الدمع ص ٣٢
(٤) حصاد الدمع ص ٣٣
(٥) حصاد الدمع ص ٣٣

وبعد فكل قصيدة فى ديوان (حصاد الدمع) تمثل حالة معمارية مميزة منها:

١. استبطان الذات واجتلاء الشعور وكشف أغوار النفس، مثل قصيدة : (رحيل مفاجئ)و(أكباد أطفالى) و(مصرع الشمس) و(رفيقة دربى) و(وازوجاه)و(ديار الصامتين).

٢. قصائد تقوم على أسلوب المناجاة، مثل قصيدة : (لا تغب).

٣. قصائد تقوم على الحكاية والتذكر، مثل قصيدة : (بعد عام) و(بعد عامين).

٤. قصائد تقوم على أسلوب التناقض، مثل قصيدة : (ازدواج).

٥. قصائد تقوم على التأمل، مثل قصيدة : (الموت العاشق) و(الموت يتكلم).

وبهذا فقد استطاع د/ رجب أن يقدم تجربة ذات وحدة عضوية متجانسة الأفكار.

ثالثاً : بين الشاعرين

كلا الشاعرين أجاد إجادة بالغة فى البناء الفنى للقصيدة ولم يخلا بالنظام العضوى المتجانس فيها، وهذا يدل على أننا أمام شاعرين امتازا بمهارة الأداء الشعرى.

المبحث الرابع

المعجم الشعرى

الألفاظ هى المادة الخام التى يستخدمها الشاعر فى ترجمة مشاعره وتحديد أبعاد تجربته وعاطفته فى صورة لغوية فنية، فهى ترجمة مادية لعملية التصور النفسى التى يعانيها الشاعر لذا فإن المشاعر والأحاسيس هى المحرك الأول للألفاظ والاساليب، وهى التى تضفى بظلالها على لغة الشعر، وحينئذ فهى الأقدر على النقل الأمين لمشاعر الأديب " فهى تنقل الأثر من المبدع إلى المتلقى نقلاً أمينا وليست المسألة نقل أمين فحسب ولكنه النقل الأمين عن المبدع عندما يفكر أولا وقبل كل شىء باعتباره فرداً "[١]

واللغة مهما بلغت قوتها ودقتها لا تستطيع أن تنقل الأحاسيس والمشاعر بدقة كاملة متناهية وإنما هى عملية ترجمة لما فى النفس غالباً ما تكون عاجزة عن الترجمة الوافية للمشاعر والأحاسيس بتعقيداتها والتواءاتها، وتتمثل براعة الشاعر فى قدرته على نقل أكبر قدر من هذه المشاعر حتى تصل إلى المتلقى فتتوهج فى نفسه كما توهجت فى نفس الشاعر.

وليس من أهداف الشاعر أن يصطنع رؤية ما لم تكن نابعة من شعوره فالإبداع الأدبى "عملية استجابة إلى شعور . الشاعر . قبل أن تكون تلبية لفكره " [٢]

ولأهمية اللغة الشعرية اعتبرها بعض النقاد كياناً فنياً أقوى من المضمون ذاته فيعتبرون " أن لغة الشعر لا تتميز عما سواها بمضمونها وإنما ببنيتها" [٣]

وسوف يحاول البحث الكشف عن القيم الجمالية للمعجم الشعرى عند شاعرينا.

أولاً : عزيز أباظة.

---

(١) الأسس الجمالية فى النقد العربى د/عز الدين إسماعيل ص ٣٥٠

(٢) النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال ص ٤٠٥

(٣) نظرية البنائية فى النقد الأدبى د/ صلاح فضل ص٢٣٤ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣م

يعد عزيز أباظة رائداً من رواد الشعر العربى الحديث، وهو أول من سار على خطى شوقى فى مسرحه الشعرى وهذا يدل على قدرته الفنية فى الأداء الشعرى وتمكنه من الأدوات والإمكانات التعبيرية اللفظية، وهو شاعر يميل إلى الرومانسية فاختار فى المسرح الشعرى قصة قيس بن ذريح، وهذا لا شك يكشف لنا عن مقدرة شاعر فنان له سمات فنية أسلوبية خاصة فى موضوع الرثاء.

وقد اتسم أسلوبه بالسهولة والرقة، سهولة الفصاحة لا سهولة الركاكة والضعف، فقد كان من أول السمات الفنية للأسلوب الشعرى عنده فى كل قصائده الرقة والسهولة، وانسيابية التركيب وعدم التعقيد فنراه فى وصف مأساته يقول :

مـال الزمـان بنـا لمـا أحـيط بهـا ... فى ساعة لا فدى يغنى ولا فادى
وكـل عمـر فمصـروف إلـى أجـل ... وكـل أنـس فمـردود لميعـاد
وكـل مـن جملتـه الأرض بالغـة ... بـه مثـاوى آبـاء وأجـداد
ويـح ابـن حـواء والـدنيا تسـاوره ... بالشر من طامع فى العمر مزداد
أمـا درى وهـو هـاو فـى مباذلـه ... وسـادر فـى هـواه أنـه راد
مـا فسـحة العـيش إلا لمحـة عرضـت ... ثـم انطـوت بـين آمـاد وآبـاد
يا أخت ذى الرونق الموشى من عمرى ... وعـدل نفسـى مـن الـدنيا وأولادى
قـد ذقـت بعـدك يتمـا حـز فـى كبـدى ... وذاقـه فـى ربيـع السـن أكبـادى
كنـا علـى أيكـة الـدنيا ورفرفهـا ... نختال فى نشوة منها وإسعادى[1]

فالأبيات تكشف عن سلاسة اللغة وسهولتها وتكشف عن امتزاج لغة الفكر ولغة القلب، الأولى بدقتها وعقلانيتها، والثانية برقتها وعذوبتها، فنرى فى أول الأبيات ألفاظاً دقيقة فى وصف المشهد بالنسبة للشاعر وبالنسبة للنفس البشرية حين يقف الإنسان أمام الموت عاجزاً ومعتبراً، لذا نراه يستخدم الألفاظ :مال الزمان.. أحيط بنا.. لا فداء ولا فادى..كل عمر مصروف إلى أجل.. مثاوى آباء وأجداد.. الخ، ونرى الألفاظ تزداد عمقا فى رسم أغوار النفس الإنسانية حين يجمع بين طمع النفس فى الدنيا بالمال والعمر المديد

(١) أنات حائرة ص ١٩-٢٠

فـى حـين أن هذا العمـر سـينتهى وأن البيـت السـعيد سـرعان مـا سـيزول فالكـل إلـى زوال، وتظل الألفاظ بدقتها مع سهولتها فى التعبير ترسم أجواء منطقية عقلية لحالة الموت وأن الفناء مصير الأحياء، ثم يتبع هذا السياق اللفظى الذى امتلأ بالعقلانية بأسلوب رومانسى يختلط بالعبرات وزفرات الأنين فيقول:...أخت ذى الرونق الموشى.. أيكة الدنيا.. ورفرفها.. ذقت بعدك يتما... حز فى كبدى.. نختال.. نشوة.. وإسعاد..

وهكذا تتسم الألفاظ بالسهولة والدقة والرقة والشاعرية مع ملائمة الألفاظ لطبيعة التجربة التى يعانيها الشاعر، كما ظلت السهولة سمة ملازمة للشاعر فى كل قصائده وحتى ما جاء من ألفاظ غامضة تحتاج لمراجعة المعجم فإن السياق يكشف عن معناها، من هنا لم يكون الغموض من سماته الأسلوبية، ومن الألفاظ التى تحتاج إلى مراجعة للمعجم قوله :

فـانظر إلـى الـدار قـد هيضـت جوانبهـا وانظر تجد أهلها أشباح أجساد(١)

فلفظ (هيضت) معناه كُسِر بعدما كاد ينجبر، وهو لفظ يدل على تجربة الشاعر بدقة، فقد رسم حالة الانكسار النفسى بعدما كان يعيش على أمل أن تشرق أيامه بالسعد ويدوم السرور بينهما، فاللفظ رغم صعوبته يفهم من السياق، وقد رسم الحالة النفسية ببراعة لا تتوفر لأى لفظ آخر.

ومن الألفاظ التى تحتاج إلى مراجعة المعجم قوله :

فـــوالله مـــا آنســـت إلا تألقـــا ولا اســـتقتُ إلا ذاكيـــاً يتنســـم
تمـــر مواضـــى الـــذكريات كريمـــة كما مر بالممطول طيف مسلِّم (٢)

فلفظ استقت بمعنى : شممت، ولفظ ذاكياً معناه طيب الرائحة وهذا اللفظ هو الذى دل على معنى كلمة استقت، وفُهم مدلولها من السياق، ولكنه آثر كلمة استقت لأنها من استقت الريح التراب أى حملته، فكذلك رائحة زوجه تحمل له الطيب الذكى حتى ولو لم يحاول أن يتشممها بنفسه، وهذا يدل على تمام رائحتها وطيبها.

ومن الألفاظ الغامضة ولكن السياق يدل على معناها قوله،

(١) أنات حائرة ص ١٨
(٢) أنات حائرة ص ٢٩

أســوان تهــوى نفســه مــن وحشــة وتلــددٍ فــى مثــل بحــر طــام(١)

فلفظ أسوان هنا دل على تمام الأسى والحزن وأن الهموم قد ملأت قلبه فهذا اللفظ أدق وأوفى فى الدلالة من أى لفظ آخر مثل حزين أو مهموم هذا فضلاً عن إيقاع لفظ أسوان الذى يعبر عن الألم. ومن الألفاظ الغامضة أيضاً قوله :

كنــا وكنــت لنــا مهــاد رفاغــة ومــراج خالصــة وعُــشَّ غــرام(٢)

فلفظ رفاغة معناه اتسع ورغد وأخصب، وهو لفظ غامض كان الأولى بالشاعر أن يأتى بلفظ أرق وألين، ومن الألفاظ التى تتسم بالعلمية قوله:

ســابق فــى ســديمه جــد فــى الســير (م) فــأخلى الســبيل للمســبوق(٣)

فالسديم بقع سحابية ناشئة عن تكاتف أو تصادم عدد لا يحصى من الأجرام السماوية، والسديم هو أيضاً الضباب الرقيق، وقد استخدم الشاعر هذا اللفظ لأن حالة الإحساس بالضباب هذه ملازمة له منذ أن ماتت زوجه؛ لذا فهى مناسبة لحالته النفسية والبيت ضمن قصيدة وحى الغروب، وقد استخدم عناصر كونية فى رسم أبعاد تجربته ومن الألفاظ الغامضة أيضا قوله :

وقــل لمنــزل الصــبوات دمــع يــراق ولوعــة حــرى تنــوس(٤)

فلفظ تنوس بمعنى تحرك وأعتقد أن الشاعر لجأ إلى هذا اللفظ الغامض للقافية.

*أما عن اختيار اللفظ فقد وفق عزيز أباظة فى تدقيق اختيار الألفاظ ودلالتها التعبيرية خاصة فى الفعل الماضى والمضارع فكانت مناسبة للتجربة، فيوظف الفعل المضارع بدلالته على الاستمرارية فيقول مؤكدا وفائه لها :

ســألقاك لــم يشــغل فــراغ تركتــه ببيتى ولم يملأ مكانك من قلبى(٥)

(١) أنات حائرة ص ٣٥
(٢) أنات حائرة ص ٣٦
(٣) أنات حائرة ص ٣٨
(٤) أنات حائرة ص ٤٨
(٥) أنات حائرة ص ١٧

فمكانها فى البيت لن تشغله امرأة أخرى، فالفعل المضارع دل على استمرارية العلاقة بينهما حتى يلقاها ؛ لذا قال فى أول البيت سألقاك، وكلها أفعال تدل على إخلاص تجربة الشاعر فى حبه لزوجه، ويقول فى قصيدة أخرى:

أقـول والقلـب فـى أضـلاعه شـرق بالدمع لا عدت لى يا يوم ميلادى
نزلـت بـى ودخيـل الحـزن يعصـف بـى وفـادح البـث مـا ينفـك معتـادى[1]

فاستخدم فى أول البيت الفعل الماضى نزلت للدلالة على أن يوم الميلاد جاء بنازلة فادحة من نوازل الدهر فلم يعد هذا اليوم مجالاً للفرحة واستخدم الفعل الماضى ليدل على قدم هذه المأساة وكأنه لم يذق فى حياته يوم نعيم، ثم يستخدم الفعل المضارع بعد ذلك فيقول: يعصف وقوله: ما ينفك ؛ ليدل على دوام حالة الحزن والألم حتى غدت الأحداث التى تدعو إلى السرور سببا للحزن فلفظ، يعصف يدل على موجة عارمة من الأحزان تدمر قلبه.

*وقد استخدم أيضا ألفاظا ذات إيحاء لفظى بديع، فنراه حين يصف أيام سروره بها يوظف الألفاظ الخلابة ذات الإشعاع الجمالى فيقول :

عنـد شـط الغـدير والقصـر ذى الأعـلام (م) والـــروض ذى الـــرواء الأنيـــق
ومرائـــى الربيـــع فـــى حلـــل الريـــف (م) وموشـــى نســـجه المنســـوق[2]

فألفاظ الأبيات تدل على الهدوء والسرور والسعادة، والشاعر يعيش حالة من النشوة بدت فى الألفاظ : شط الغدير.. الرواء.. الأنيق.. مرائى الربيع.. حلل الريف.. موشى.. وكلها ألفاظ نسجت لترسم حالة من الصفاء الروحى التى امتلأت بها روح الشاعر.

أما الإيحاء الإيقاعى فقد وظفه الشاعر فى قوله :

ولمـــا كففـــت الـــدمع إلا أقلـــه ونهنهـت فـى جنبـى نـارا تضـرم[3]

(١) أنات حائرة ص ١٨
(٢) أنات حائرة ص ٤٠
(٣) أنات حائرة ص ٢٨

فلفظ كففت بإيقاعه المتمثل فى حرف الفاء يرسم حالة من تكرار الفعل ومسح الدموع، فضلاً عن إيقاع حرف الفاء الانفجارى الذى يكشف حالة انهمار الدمع وكأنها أشبه بانفجار، ولفظ نهنهت يمثل حالة تكرار الفعل من خلال تكرار الهاء ومحاولته الدائبة فى رأب الصدع النفسى عنده، ومن الإيحاء الإيقاعى أيضاً:

وذوت بشاشـــات الحيـــاة ولـــم يعـــد فـــى أنســـها يـــا زيـــن مـــا يصـــبينى
أزور عـــــن لألآئهـــــا ونعيمهـــــا فـإذا جنحـت لهـا تقشـع دونـى[1]

فإيقاع اللفظ بشاشات يرسم حالة من تكرار البشاشة وجاء بها بصيغة الجمع ؛ ليدل على تنوع أشكال البشاشة فى حياته مع زوجه، ولفظ تقشع بمعنى كشف يدل على تولى هذا الزمن وانقضائه، وإيقاع حرف الشين والتشديد فيه يدل على رسم حالة الشدة والقسوة التى تقتل الشاعر حين يسترجع الماضى ويراه خيالاً سرعان ما ينقشع.

وكثيراً ما استخدم عزيز أباظة دلالة وإيقاع المثنى ليرسم صورة التلازم بينه وبين زوجه فيقول :

مرحـــان صـــاغهما النعـــيم فأمســـيا فـــــى نضـــرة يتقلبـــان ولـــين
نســـيا الـــدنا وتفرفـــا لهواهمـــا وتـــزايلا فـــى قدســـه المكنـــون[2]

فإيقاع المثنى رسم الصورة الدالة على التلازم بدقة.

وبعد... فقد كانت ألفاظ عزيز أباظة تتسم بالرقة والشاعرية، وهذا يعكس نزعة الرومانسية التى ظهرت فى العصر الحديث وتأثر بها عزيز أباظة تأثراً واضحاً وتجلى أثر هذه الرومانسية فى ديوان أنات حائرة، فالحزن والألم والأنين كان سمة ملازمة لشعراء الرومانسية، ووافق هذا هوى فى نفس عزيز أباظة فامتزجت نفسه بالأحزان التى نشأت من خلال موقف واقعى حزين، فهو واقعى رومانسى فنراه فى قصيدة أطياف الماضى ينسجم مع الطبيعة ويتناغم معها فتتجلى فى أبياته همس الكلمات وسحرها وهذا يدل على أننا أمام شاعر له مقدرة لغوية شعرية مميزة.

٢ – الأسلوب

(١) أنات حائرة ص ٥٣
(٢) أنات حائرة ص ٥٢-٥٣

اعتمد عزيز أباظة على الأسلوب الخبرى، فجاءت قصائده تتسم بالبوح والإخبار، وحتى ما جاء منها فى أسلوب الاستفهام باعتباره أسلوباً إنشائياً كان استفهاماً تعجبياً ليس مقصوداً به الاستفهام الحقيقى، وطبيعة التجربة هى التى فرضت عليه هذا النوع الأسلوبى، فنراه فى قصيدة ليلة وليلة يصف يوم زواجه فيقول :

بيضاء هيفاء تحكى الصبح مؤتلقاً والروض متسقا والبان ريانا
بتنا تضىء ظلام الليل نشوتنا وتستثير شجون الليل نجوانا
قالت وقلت فلم تفرغ مقالتنا إلى الصباح ولم تهدأ شكوانا
وحولنا الليل يطوى فى غلائله وتحت أعطافه نشوى ونشوانا
فما رأى قبلنا إلفين قد فنيا وجدا وذابا تباريحاً وتحنانا
نكاد من بهجة اللقيا وروعتها نرى الدنا أيكة والدهر بستانا (١)

فقد اعتمد فى هذه الأبيات على الأسلوب الخبرى ولا وجود فيها لأسلوب إنشائى، وهذا راجع إلى أن الشاعر معنى بمشاعره مهتم بالكشف عن دواخل نفسه فيفضى إلينا بمكنون نفسه فالأسلوب الخبرى هنا أكثر فاعلية وأكثر ملائمة للموقف.

وقد استخدم الأسلوب القصصى فى مواضع كثيرة خاصة حين يدور الحديث عن ذكرياته مع زوجه، وكذلك فى حديثه عن رحلة الحج ففيها اعتمد على عنصرين أساسيين : الأول : القصة حين عرض صوراً من حياة الإسلام والرسالة فى مهدها وكذلك فى تاريخ النبوة، فنراه يعرض صورة إبراهيم نبى الله وابنه إسماعيل وبناء البيت الحرام، فيقول :

بارك الله حولها واجتباها فزكت فى صعيدها الأنبياء
الذبيح الكريم والذابح السمح (م) حنيف نمتها حنفاء
رفعا بيتها العتيق على التقوى (م) فعز البانى وطال البناء(٢)

وهو أسلوب قصصى اعتمد فيه الشاعر على سرد الأحداث وتسجيلها فقط، وكأن رحلة الحج بعثت فى نفسه هذه الصور التاريخية للبيت فسجلها الشاعر، وكان فى وسعه أن يستخرج فى هذه الرحلة صوراً أوسع وأكثر عمقاً من مجرد تسجيل الحدث الذى شاع علمه فى مخيلة كل المسلمين.

(١) أنات حائرة ص ١٠٠-١٠١
(٢) أنات حائرة ص ٥٥

الثانى: تشوقه لصحبة زوجه فى هذه الرحلة فيقول :

بكيت لها إن لم تقف وقفة الرضا على عرفات والحجيج قيام (١)

وبهذا نرى الأسلوب القصصى عنده وقف عند رصد الحدث دون التعمق وراء التفاصيل أو إظهار مكنون المواقف الإنسانية فيها، أو حتى إنشاء علاقة نفسية بينه وبين هذه المقدسات وإنما اكتفى الشاعر بسردها.

*ومن الأساليب أيضا التكرار، ولعل أكثر الأفعال تكراراً فى قصيدة الرثاء عنده الفعل (ذَكَر) بمشتقاته وله قصيدة بعنوان ذكريات يقول فيها :

يذكرنيك كل جليل أمر وكل يسيره فتذوب نفسى (٢)

ويكرر هذا الفعل فى مطلع المقاطع السبعة فى القصيدة فضلاً عن تكرار مشتقات المصدر (ذِكْر) فى ثنايا أبيات المقاطع التى تكونت منها القصيدة ؛ ليدل على مدى تعلقه بها وعدم نسيانه لها، وليدل على مدى مأساته فهو يعيش آلام الذكريات.

ومن صور التكرار أيضاً قوله :

ياملاذى إذا فقدت ملاذى وصديقى إذا تجنى صديقى (٣)

فكرر لفظ (ملاذى) و(صديقى) فى محاولة منه ليدل على تعلقه بها.

*وقد تأثر عزيز أباظة بالقدماء وظهر ذلك جلياً فى قوله :

وأدمعا من حنايا القلب ساكبة وقد يدمع القلب دون العين أحيانا(٤)

وهو من قول بشار :

يا قوم أذنى لبعض الحى عاشقة والأذن تعشق قبل العين أحيانا(٥)

---

(١) أنات حائرة ص ٦٣

(٢) أنات حائرة ص ٤٢.

(٣) أنات حائرة ص ٤٠.

(٤) أنات حائرة ص ١٠٢

(٥) ديوان بشار بن برد ٥٢٥/٢ شرح حسين حمودى ،دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ١٩٩٦م

وبعد فقد كانت الألفاظ والأساليب تتسم بالشاعرية عند عزيز أباظة مما يدل على براعته وشاعريته فى التعبير عن تجربته.

ثانياً : د/رجب البيومى

اتسمت الألفاظ عند د/ رجب بالسهولة والوضوح حتى بلغت درجة العامية فى بعض الأحيان، فقد استطاع أن يطوع اللغة العامية لأن تكون فصيحة فمزج بينهما بصورة واضحة، ولكنه ليس امتزاجاً يدعو إلى الابتذال وهذا يوضح لنا أننا أمام شاعر يستطيع أن يطوع اللغة ويجعلها أكثر مرونة وجمالاً فنراه فى قصيدة :(يقولون ماما) يقول :

يقولـون (ماما) كلما عن مشكل ... وأولى بهم أن يسكتوا لو تعقلوا
يقولون (ماما) ما الذى أنا صانع؟ ... ومن دون (ماماهم) تراب وجندل
يصيحون بى هلا ذهبت تعيدها؟ ... كأنى برد الراحلين موكل
شديد على نفس الأب البر موقف ... يهيب به أطفاله ثم ينكل
يعذبه إحساسهم برحيلها ... وإحساسه الدامى أشد وأهول
تفنن فى جلب السرور إليهم ... يحاول تخفيف الذى يتحمل
ووالى فنون المغريات تلهياً ... فما راق ملبوس ولا طاب ماكل
وكان حريصاً أن يدوم سرورهم ... بها وهى بالأحرى أسر وأجذل[1]

فعنوان القصيدة يدل على لغة الحياة اليومية التى يتحدث بها الناس، فقد اختار لفظ (ماما) بواقعيته واختار أن تكون ألفاظ القصيدة سهلة لينة واضحة قريبة من لغة المجتمع، فلا نجد كلمة تحتاج إلى مراجعة المعجم بل غلبت عليه تعبيرات العامة فى مثل قوله، أن يسكوتوا، ما الذى أنا صانع، تفنن فى جلب السرور، تخفيف الذى يتحمل، المغريات، ما راق ملبوس، ما طاب مأكل، يدوم سرورهم، وربما كان أكثر مجاراة للعامة حين قال: (ماماهم) ولو أنه قال أمهم لاستقام الوزن (بحر الطويل) ولكنه آثر سهولة اللفظ ونقل المشهد بواقعيته رغم أن هذا يقلل من رونق وماء الشعر.

(١) حصاد الدمع ص ٢٥ -٢٦.

وفى قصيدته بعد عامين يقول :

أبعـــدت عنهـــا منـــذ يـــومين؟
أم فـــــارقتنى قبـــــل عـــــامين
عـــذرا فهـــذى دمعـــة العـــين
لمـــا تـــزل مـــن يومهـــا تجـــرى

****

شـــمس بنفســـى غـــال قوتهـــا
كالشـــمس قـــد ســـلبت حرارتهـــا
كـــرة قـــد افتقـــدت أشـــعتها
فغـدت كـبعض الصـخر فـى القفـر(١)

ولغة الحياة اليومية تفيض عن آخرها فى الأبيات فقوله: أبعدت من يومين أم من عامين ؟؟سؤال يطرحه العامة دائما فى مثل هذا الموقف، وقوله ودمعة العين لم تزل تجرى، كلمة تدور على ألسنة العامة، ورغم أن المقطع الثانى فى الأبيات السابقة يتسم ببعض الخيال حين جعلها شمساً تضىء حياته وتمده بالدف، إلا أنه استخدم مصطلحاً يشيع فى قاعات الدرس العلمى (سلبت حرارتها) وكأنه يتحدث عن نظرية علمية، فيقول: أن الشمس فقدت حرارتها فغدت مثل الصخرة فى الأرض القفر، وهذه سمة أخرى (استخدام المصطلحات العلمية) من سمات اللفظ الشعرى عند د /رجب يضاف إلى السهولة واستخدام لغة الحياة اليومية.

وتتضح لغة الحياة اليومية فى شعر د/ بيومى حين يتحدث عن حياته اليومية فى ظلالها وكذلك بعد وفاتها فيقول:

وشـريط التسـجيل أقصـيه حتـى لا يسـيل اسـتماعه عينيـا(٢)

(١) حصاد الدمع ص ٤٨
(٢) حصاد الدمع ص ٥٩.

وكذلك قوله :

وبنـات الأشـواق فـى قفـص الصـدر حمـــام لـــه عليـــك هـــديل[1]

فقولـه فـى قفص الصـدر ليست لغـة الشـعر وإنمـا هـى لغـة التشـريح والطـب، وكـان الأولى به أن ينأى عن هذا الأسلوب الذى يجعل الشعر ركيكاً ضعيفاً، وبهذا نرى أن سمة الأسلوب عند د /رجب هى السهولة والبعد عن الغموض.

*ورغم سهولة الألفاظ وعاميتها فى بعض الأحيان عند د/بيومى إلا أنه استطاع أن يضـفى علـى معجمـه الشـعرى لغـة شـعرية خلابـة لهـا جمالهـا ورونقهـا ورقتهـا ودقتهـا فـى التعبير عن كوامن النفس، وأهم عنصر تناوله بهذا الرونق اللفظى قصائده حول حقيقة الموت والفناء، من ذلك قصيدته ديار الصامتين يقول فيها :

شـهدت ديـار الصـامتين فهـاجنى سـكون بـدنيا الصـامتين مهيـب
مقـابر خرسـاء اللسـان نواطـق بـأتلع مـا يفـرى الحشـا ويـذيب
تجـيش عظـات الـنفس فيهـا دوافقـاً بمـا لـم يقـل فـى الـواعظين خطيـب
فضـاء ثقيـل الضـعط يهـوى كصـخرة تـؤودك منهـاراً وأنـت صـليب
فضـاء مخـوف الصـمت حتـى كأنـه وحـوش بأدغـال عليـك تنـوب
هنا الحى ميت إذ يرى كيف ينتهى فلـيس لـه فـوق التـراب دبيـب
هنـا الميـت حـىّ إذ يثيـر لواعجـاً لهـا هجمـات فـى الحشـا ووثـوب[2]

فقد استطاع الشاعر أن يوظف ألفاظاً تساعده فى رسم أجواء التجربة، فنرى صورة القبور ووحشتها تتمثل فى الألفاظ، هاجنى، سكون، مهيب، خرساء، يفرى الحشا، يذيب، تجيش، عظات، ثقيل، فيهوى، تؤودك، منهاراً، مخوف، وحوش، غال، ينتهى، ليس له دبيب، يثير، لواعجاً، هجمات، وثوب، وهى ألفاظ رسمت التجربة بدقة عالية واستطاعت استيعاب المشهد كله بدقة وبراعة، كما أنها نقلت إلى المتلقى هيبة القبور بصورة دقيقة، وهذا ما جعل الأبيات تتسم بالقوة والشاعرية وجمال الألفاظ.

---

(١) حصاد الدمع ص ٧٢.

(٢) حصاد الدمع ص ٦٢ -٦٣.

وقد كان د/ رجب بارعاً فى قصائده حول الموت فاستطاع أن يوظف ألفاظاً تكشف عن عمق تجربة الموت، ففى قصيدته (الموت يتكلم) يوظف الألفاظ الشاعرية الخلابة ذات الإيحاء الشاعرى فيقول :

يــامن يــراع إذا تمثــل صــورى فيمــا ارتياعــك؟
هون عليك ففى ابتعادك عن بنى الدنيا انتفاعك(١)

فطبيعة الموضوع بما له من قوة وما يحويه من معان إنسانية يفرض على الشاعر ألفاظاً أكثر جمالاً وإشعاعاً، بينما فى حديثه عن زوجته كان أكثر سهولة لأنه كان يريد أن ينقل المشهد بواقعيته وتفاصيله الحقيقية.

ومن الألفاظ ذات الإيحاء والإشعاع قوله :

أرى قبـرك الســاجى فـأجهش باكيـا وقــد ملكتنـــى رعــدة ووجيــب(٢)

فلفظ الساجى يحمل إشعاعاً رائعاً فيدل على حزن القبر عليها وأن حالةالحزن أصبحت عامة تشمله وتشمل القبر وكل الكائنات، وقوله أجهش تعبر عن حالة الحزن التى تفرى قلبه وتمزق أحشاءه، وتجلى هذا الأمر فى صورة صوتية معبرة، ثم تأتى كلمة واجماً لتدل بدقة على التعبير عن حالته النفسية فدموعه تنزف حتى وإن بدا واجماً صامتاً، ومن ذلك أيضا قوله :

أعلـــى الجمـــر هكـــذا تتلظـــى حيـث لا يهـدأ السـؤال المطيـل(٣)

فكلمة تتلظى مشتقة من لظى (اسم جنهم) فهو يرى نفسه فى نار بسبب فراقها له لا تختلف عن نار جهنم، وهى مبالغة شعرية دلت على شعوره، ونرى الإيحاء أيضا فى تصوير موتها بكسوف الشمس، فيقول :

كسـفت شمســها صـباحا فمــا راق ضـــحاها ولا اســتتم الأصـــيل(١)

---

(١) حصاد الدمع ص ١١٩
(٢) حصاد الدمع ص ٦٥.
(٣) حصاد الدمع ص ٧٨.

فلفظ :كسفت يدل على مكانتها فى قلبه وأنها مصدر حياته ومما أعطى لهذا اللفظ قوة أنه جعل هذا الكسوف فى الصباح؛ ليدل على أن زوجته رحلت فى ربيع عمرها.

ويصور رحيلها بالشمس أيضاً فيقول :

وأبصـر ريحـا زعزعـاً عصـفت بـه وبـى فكلانـا فـى العـراء حصـيد(٢)

فلفظ الريح يستخدم فى الشر بخلاف الرياح فإنها للخير دائما.

كما وظف الإيحاء الإيقاعى فى كلمة الظاعنون فى قوله :

الظـــاعنون وليـــتهم قطنـــوا والقـــاطنون وليـــتهم ظعنـــوا (٣)

فإيقاع المد يصور حالة امتداد الإحساس باستطالة الألم، وكذلك إيقاع كلمة عويل التى ترسم صورة صوتية من خلال إيقاعها ومدلولها فى قوله :

ظفـــر المـــوت بـــالمنى وغـــدونا مـــن هوانـــا فـــى مـــأتم وعويـــل (٤)

 # ٢ – الأسلوب

اتسم الأسلوب عند د/ رجب بالعقلانية والجدال العقلى والاعتماد على المنطق، فأغلب القصائد تعتمد على إنارة العقل وتنشيط الذهن فيقول فى قصيدة رفيقة دربى :

أقـارن بـين الأمـس واليـوم باكيـا لخطب ترامى بى من الضد للضد
فـــأين بهـــاء الأمســـيات رقيقـــة؟ تـــأرج بـــالنعمى وتنضـــر بـــالود
تلألأفـــى عينـــى بهيجـــاً رواؤهـــا كمـا لألأ الطـل النثيـر علـى الـورد
حنـــان يحيـــل البـــرد دفئـــا محببـــا فلسنا به نحتاج فى البرد للوقد (٥)

---

(١) حصاد الدمع ص ٧٩.
(٢) حصاد الدمع ص ١٠٠.
(٣) حصاد الدمع ص ٨٢
(٤) حصاد الدمع ص ٨٢
(٥) حصاد الدمع ص ٣٥

فالشاعر يعبر عن حالة فكرية تدور فى خلده، وكلمة أقارن رسمت هذه الحالة بدقة وهى الفرق بين الماضى والحاضر، ولكنها عملية ذهنية عقلية أكثر منها عملية شعورية، وهذه العقلانية تناسب طبيعته الأكاديمية.

وقد استخدم أسلوب الاستفهام بصورة كبيرة جداً، ففى قصيدته أكباد أطفالى يزاوج بين الأسلوب الخبرى والإنشائى الاستفهامى فيقول :

لم يا حمام هصرت غصن شبابها؟ ولـــه غصـــون غضـــة وثمـــار
أو صرت تهوى الحسن تلك قضية نهـض الـدليل بهـا فـلا إنكـار؟ (١)

ثم ينتقل إلى الأسلوب الخبرى فيقول :

شـــاهدتها بســـامة فـــى بيتهـــا مهمـا ظغت مـن حولهـا الأكـدار
شـــاهدت منزلهـــا بهـــا أغـــرودة رنـــت فهـــش للحنهـــا الـــزوار (٢)

فالاستفهام تعجبى فيتعجب الشاعر من حال الأيام التى تفرق بين الأحباب وهو هنا يستخدم الاستفهام ليدعو القارئ إلى المشاركة الوجدانية له فى حزنه.

ورغم كثرة الأسلوب الإنشائى وخاصة الاستفهام إلا أن الشاعر استخدم الأسلوب الخبرى أيضا فى مواضع عديدة لعل أروعها حديثه عن صديق له مات ورأه الشاعر فى المنام وأنه كان بريده إليها وهى قصيدة: بريد غير منتظر.

كما تأثر د/ بيومى بالأسلوب القرآنى من ذلك قوله :

أنصـلى مـع الـداء العـداء كأنمـا نفضل أن نـزداد وقراً علـى وقـر (٣)

فالوقر هو الصمم وهو من قوله تعالى﴿ وفيآذانناوقر﴾ سورة فصلت﴿٥﴾

(١) حصاد الدمع ص ١٦
(٢) حصاد الدمع ص ١٧
(٣) حصاد الدمع ص ٤٧

وتأثر أيضا بقوله تعالى ﴿ إنه كان وعده مأتيا ﴾ سورة مريم ﴿٦١﴾ حين قال:

قـــــدر الله أن أعـــــود حزينـــــا (إنـــه كـــان وعـــده مأتيـــا) [١]

وهذا يدل على ثقافته الإسلامية.

وقد استخدم التكرار كأسلوب فنى ولكنه قليل جداً فيقول :

أنـت أنـت التـى دفعـت إلـى هـذا وشـــاركتنى المكـــان القصـــيا [٢]

وفى قصيدته الموت يتكلم نراه يكرر مقطعاً بعينه فى القصيدة لأن فى هذا المقطع خلاصة تجربته كلها.

ثالثاً : بين الشاعرين

أجاد كلا الشاعرين فى توظيف الألفاظ والأساليب وشعرهما يكشف عن شاعرية مميزة، ولكنهما رغم هذا فقد اختلفا فى بعض الأمور :

١. لغة الدكتور رجب أشبه بلغة الحياة اليومية فاتسمت بالسهولة الفصيحة، بلغ فى بعض الأحيان إلى استخدام كلمات العامة بنصها، أما عزيز أباظة فقد كانت لغته أكثر شاعرية وإيحاء وجمالا.

٢. اتسم أسلوب د/ رجب بالعقلانية بينما اتسم عزيز أباظة بإشعاع الكلمات وشاعريتها.

٣. كثر أسلوب الاستفهام عند د/ رجب بينما استخدم عزيز أباظة الأسلوب الخبرى كنمط تعبيرى.

---

(١) حصاد الدمع ص ٦١

(٢) حصاد الدمع ص ٥٦

٤. ظهرت الألفاظ القرآنية فى شعر د/رجب بصورة واضحة.بينما اهتم عزيز أباظة بمحاكاة واتباع القدماء فى بعض الأساليب.

المبحث الخامس

الصورة الشعرية

الصورة الشعرية عنصر مهم من عناصر البناء الفنى، فهى الملكة التى يتميز بها الشاعر عن غيره حين يستطيع أن ينقل مشاعره وتصوراته من عالم المجهول الذهنى الخاص به إلى عالم الحياة فى صورة متحركة نابضة يمتزج فيها الخيال بالحقيقة، فهى مرحلة التصوير أو مرحلة ترجمة التصور الذهنى فى صورة ملموسة، فالصورة هى التى تجعل الشعر ينبض بالحياة، وهذه الحياة لا تكون محاكاة للحياة أو الطبيعة فـ" الصورة ليست شيئاً منظوراً مثلما يحدث فى فن الرسم، بل هى على العكس من ذلك تحتاج لمجهود خيالى كبير حتى تصبح بصرية "(١)

وقد اعتبر نقاد مدرسة الإحياء الشعر خيال، فلا ينال الوصف بالشاعر إلا من استطاع أن يتسم شعره بالخيال فهذا البارودى يعرف الشعر بأنه "لمعة خيالية يتألق وميضها فى سماوة الفكر فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب فيفيض بلألائها نوراً يتصل خيطه بأسلة اللسان " (٢) وقد كان لحافظ إبراهيم فى مقدمة ديوانه كلمات فى هذا المعنى تكشف عن ضرورة الخيال الشعرى وأهميته فى القصيدة، فالشعر فى تصور شعراء هذه المدرسة خيال قبل كل شىء وهذا يعكس مدى تقديرهم للصورة ودور الخيال فى الأدء الشعرى.

وهذا العقاد يعرف التشخيص بأنه " الملكة الخالقة التى تستمد قدرتها من سعة الشعور حينا أو من دقة الشعور حينا آخر " (٣)

ويبقى أن نشير إلى أن الصورة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتجربة " فلابد أن تكون الصورة مطابقة تماماً لتجربة التى مر بها الشاعر لإظهار فكرة أو حدث أو مشهد أو حالة

---

(١) نظرية البنائية فى النقد الأدبى د/ صلاح فضل ص٢١١.

(٢) ديوان البارودى ٥٥/١ تحقيق على الجارم،محمد شفيق معروف القاهرة سنة ١٩٧١م.

(٣) ابن الرومى حياته من شعره للعقاد ص ٢٩٦مطبعة حجازى القاهرة الطبعة الثالثة سنة ١٣٦٩هـ ١٩٥٠ م

نفسية أو غير ذلك، فكل صورة كلية أو عمل أدبى يحدث نتيجة تجربة خامرت نفس صاحبها وتفاعلت فى جوانبها المختلفة، يمتزج الطارئ إليها بالمخزون فيها ". (١)

وعلى هذا فإن الصورة تكون متألقة حين تنبع من الشعور وتنبعث من نفس الشاعر لا أن تكون مجرد تقليد أو محاكاة أو تجسيد لمعان ميتة " إن حفظ التلميذ للتشبيهات والاستعارات الناجزة لا يصنع منه شاعراً أصيلاً إذ أن هذه البلاغات لابد أن تبدأ حركتها من النفس فتنبت مع الشعور ولا تكون سابقة له "(٢)

وفى إطار هذه الرؤية للصورة سوف ندرس الصورة الشعرية عند شاعرينا.

أولاً: عزيز أباظة.

اتسمت الصورة الشعرية عند عزيز أباظة بأنها صورة تقليدية هدفها الأول الكشف عن الشعور والوجدان والتعبير عن دواخل النفس لتصل بالقارئ إلى المشاركة الوجدانية، والانفعال بصورة حقيقية بما يستشعره الشاعر ؛ لذا فإن صوره فى أغلبها تدور فى محور الصورة البيانية (التشبيه والاستعارة والكناية).

ولعل أكثر الصور التقليدية التى ظهرت عند عزيز أباظة التشبيه، فنراه يشبه زوجته بصور تشبيهية بسيطة لا تعقيد فيها ولا التواء فيشبهها مرة بالندى، وأخرى بالشمس وثالثة بالقمر ورابعة بالطفل وخامسة بالزهر.... وهكذا، وكلها تشبيهات مختلفة فى المشبه به لكنها متفقة فى وجه الشبه فتكشف عن الرقة والجمال الذى اتسمت به زوجه الفقيدة، وصورة الندى من أكثر الصور تكراراً فى شعره، فيقول :

والعيش ثمّ كأنه قبل الندى حملت تحايا الفجر للأكمام(٣)

وهى صورة غاية فى الروعة والرقة والجمال، وتحمل جانبا كبيراً من الرمزية فقد شبه العيش فى ظلال زوجه بالندى الذى يقبل الأكمام والزهور فى الفجر الباسم، وهو يرمز بكلمة قبل وكلمة تحايا الفجر إلى طيب صحبته لزوجته، فكلمة قبل تكشف عن هذه الصحبة الودودة الرقيقة، وكلمة تحايا تحمل تجاوباً نفسياً بين الفجر والندى والأكمام، ثم

(١) البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر د/ على على صبح ص ٢٩ الناشر المكتبة الأزهرية للتراث ، سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م

(٢) الشعر العربى المعاصر د/ عز الدين إسماعيل ص ١٣٥

(٣) أنات حائرة ص ٣٣

إن كلمة الفجر تدل على مقتبل العمر لزوجته، والصورة تحمل جانباً كبيراً من الحركة باعتبارها عنصراً من عناصر الصورة، تجلت هذه الحركة فى كلمة :حملت، حيث دلت هذة الكلمة بتضافرها مع باقى أجزاء الصورة صورة الفجر الباسم والندى الآخاذ دلت على حركة دائبة فى الصورة كان أثرها واضحا فى المقابل فى تصوير طيب عيشه مع زوجه، ولكن سرعان ما انتهى هذا العيش الرغيد، مثلما انقشع الندى من على الزهور، وهذا هو السر وراء اختياره مفردات الصورة.

وتتكرر هذه الصورة بمفرداتها الطبيعية الجميلة فى تصوير سالف عهده بزوجه الرقيقة فيقول :

ووداداً كأنـــــه قبـــــل الأنـــــداء قــد شــافهت خــدود الشــقيق [1]

فالصورة تعتمد على نقل المعنى العقلى . غير الملموس . وهو الحب والود، إلى صورة مجسدة ناطقة بالحيوية والحركة واستعان فى هذه الصورة بكأن التى تعمق من تمازج الصورة وكأنهما شىء واحد، فتقبيل الندى للشقيق . وهو نوع من الزهر. لا يختلف عن حبه لزوجه، وهو يدل على حميمية الصورة وعفتها، واتسمت الصورة بالحركة من خلال سقوط الندى على الشقائق، فقد جعلها الشاعر قبلا، واتسمت أيضاً باللون من خلال لون زهر الشقائق، وهذا كله يعطى الصورة بعداً عميقاً فى رومانسيتها ورقتها وهى سمة اتسمت بها عاطفة الشاعر حين يسترجع سالف عهده بزوجته.

ويستكمل صورة الندى ليدل هذه المرة على رحيلها، فالندى يقبل الشقائق فى الصباح الباكر ثم سرعان ما يفارقها عند أول خيوط الشمس، فيقول :

ذهبـت كالنـدى تـألق فـوق الزهـر فـــى غـــرة الصـــباح الطليـــق[2]

فاختار الندى ليكشف عن معانى الرقة ويوضح أنها ذهبت إلى العالم الآخر فى مقتبل عمرها عندما كادت أن تشرق لهما الحياة، مثل مفارقة الندى للزهر عند طلوع الشمس.

ومن صور التشبيه أيضاً عند عزيز أباظة تشبيهه لها بالشمس فهى رمز للحياة، فالشمس حياة الدنيا وزوجه شمس بيتها وحياته التى تعطيه الدفء والحياة، فيقول:

(١) أنات حائرة ص ٤٠
(٢) أنات حائرة ص ٤١

نــأت كالشــمس أمهمــو فأمســوا ـ وإن كنــت الحفــى بهــم . حيــارى (١)

فرغم اقتضاب التشبيه هنا واقتصاره على جعلها شمساً وهم حيارى إلا أنه تشبيه يعمق فكرة كونها مصدر الحياة له ولأولاده الصغار، ويعمق هذا المعنى فى صورة أخرى فيقول :

مضت أمكم كالشمس لماحة السنى ومضت كما يمضى الربيع المفوف(٢)

فقد أضاف إلى صورة الشمس صورة أخرى تشبيهية (ومضت كما يمضى الربيع المفوف) ففراقها للبيت فراق الربيع للأرض فتبدلت الأرض الخضراء والنبات المشرق إلى أرض جرداء، وقد استعان الشاعر بعنصر اللون بصورة واضحة جدا فى هذه الصورة فنرى ضوء الشمس وألوان زهور الربيع والأرض المعشبة، ونرى اللون أيضا فى لماحة السنى، وقد اختار عنصر اللون بالذات لأنه من خلاله يستطيع أن يرسم صورة إشراقها وجمالها وحسنها.

ومن صور التشبيه عنده أيضاً صورة البدر فيقول:

وجامعــة فــى بيتهــا شــمس بيتهــا توســطهم كالبــدر حفتــه أنجــم(٣)

فالصورة تكشف عن الجمال والتآلف والترابط بين الأبناء وأمهم فهى وأبناؤها فى البيت كالبدر حوله النجوم تتوسطهم فى حسن وجمال وتناسق بديع.

والصورة رغم أنها تكاد تكون أشبه بالصور الفوتوغرافيه فى دقة عرضها مع عدم انبعاث الحياة فيها، إلا أن الشاعر استطاع أن يلقى عليها جانباً كبيراً من معانى الحب والعطف والألفة وذلك فى كلمة جامعة فى بيتها، أما كلمة حفتهم وتوسطهم فهى صورة هندسية قبل أن تكون صورة حركية تتسم بالحيوية ولولا كلمة جامعة التى فى أول البيت لاتسم هذا البيت بجمود الصورة.

وقد شبهها أيضاً بالطفل فقال فى الحديث عن صباها البرئ :

---

(١) أنات حائرة ص ٤٤

(٢) أنات حائرة ص ١٠٢

(٣) أنات حائرة ص ٣٠

فرحــان كالطفــل الغريــر وتِرْبَــه فرحــاً بأيســر ملــبس وطعــام(١)

فصورة الطفل هنا تعكس معنى البراءة والرقة التى عاشاها معا عندما كانا أتراباً صغارا، ويشبهها أيضاً بالغصن فيقول:

تجرى الوشـاح علـى بتيـل مخطـف كالغصن كـاد مـن النضـارة يـورق(٢)

فجعلها نحيلة الخصر وكالغصن نضرة جميلة، وعنصر الحركة واللون ظاهر فى هذا التشبيه بوضوح، ويشبهها أيضاً باللؤلؤ المتناثر فيقول:

فقـدت بهـا نعمـى الحيـاة وامنهـا وهُنّــا كعقــد اللؤلــؤ المتنــاثر(٣)

والصورة ترسم تفرقهم مثل تفرق عقد اللؤلؤ المتناثروهى صورة ترسم المشهد بحرفيته أكثر من رسم المشاعر، ويعتمد فيها على الزخرف المادى فاختار اللؤلؤ المتناثر.

كما استعان الشاعر عزيز أباظة بالاستعارة كوسيلة تصويرية من ذلك قوله:

لبس الظلام وعاش فيـه ومن يذق مـا ذقـت لـم يـأنس لغيـر ظـلام(٤)

فقد شبه الظلام بالثوب ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشىء من لوازمه (لبس) على سبيل الاستعارة المكنية، وقد وظف هذه العناصر فى الاستعارة ليكشف عن عمق مأساته وملازمة الحزن له، فلفظ لبس يؤكد هذا المعنى وأن الحزن الملاصق له حتى أنس به، وقوله لبس.. وعاش فيه.. لم يأنس لغير ظلام، تدل على اختناقه فى الحياة البائسة حتى صار هذا الاختناق أنساً له يألفه.

وقد كانت صورة الليل مشرقة فى نفس الشاعر قبل مأساته فقد كان يسترهما ويجمعهما فى سعادة وسرور وكأنه ثوب يغطيهما فيقول :

وحولنـا الليـل يطـوى فـى غلائلـه وتحـت أعطافـه نشـوى ونشـوانا(٥)

---

(١) أنات حائرة ص ٣٣
(٢) أنات حائرة ص ٧٩
(٣) أنات حائرة ص ٦٦
(٤) أنات حائرة ص ٣٥
(٥) أنات حائرة ص ١٠٠

فقوله الليل يطوى تجسيد لليل يعطى معنى تعاطف الليل معهما وحنوه عليهما، ومن الصور الاستعارية أيضاً قوله :

ونــرى بســمة الــزمن الســمح (م) ومجلـــى بهائـــه المومـــق[١]

فقد جسد الزمن فى صورة إنسان يتسم بالسماحة والبسمة والجمال وهى صورة تخدم تجربته التى يعرض فيها عهده السالف مع زوجه، ومن الصور الاستعارية أيضاً :

يبيـت يـودع سـمع الليـل عاطفـة ضـاق الزمـان بهـا سـترا وكتمانـا[٢]

فقد جسد الليل فى صورة إنسان يسمع ويتعاطف مع الشاعر، بخلاف النهار الذى صم أذنيه عن سماع آلامه وأحزانه، ولا يخفى ما فى الصورة من تضاد يكشف عن عمق إحساسه بالفارق الكبير بين ذكرياته معها التى يسترجعها بالليل فى مقابل النهار الذى يضيق بالسر، وهو رمز لحياته بعدها وبؤسه وشقائه.

وقد استخدم الصور الكنائية الرامزة فى قصائده من ذلك قوله :

ومجلـوة للعـرس وضـاءة السـنى تـأود فـى وشـى الشـباب وتـنعم[٣]

فوضاءة السنى كناية عن صفة وهى الحسن والجمال، ومن ذلك أيضا قوله رامزاً لأولاده:

ســأكرم أكبــادا تركــت فــإن أمــت فــإن إلــه النــاس بالنــاس أكــرم[٤]

فكلمة أكباد هنا كناية عن حداثة سن أولاده وأنهم صغار، وهذا رمز يساعد فى رسم إحساسه بفداحة الخطب، والعرب تعبر عن آلام النفس بحرقة الكبد فهؤلاء الأبناء الذين قاسوا الحزن ما زالوا فى مقتبل العمر وقد احترقت أفئدتهم لفراقها، ولا شك أن حزنهم يؤلم الشاعر، ويحتمل أن يكون الشاعر قاصداً من الأكباد المحترقة كل من كانت تعطف عليه

(١) أنات حائرة ص ٤٠
(٢) أنات حائرة ص ١٠٢
(٣) أنات حائرة ص ٣٠
(٤) أنات حائرة ص ٣١

من الفقراء واليتامى، وقوله : تركت، يعكس مدى تعلق أولادها وغيرهم ممن كانت تعطف عليهم بها.

ومن الصور الكنائية أيضا قوله :

ومـال عمـود البيـت وانفـض أنسـه وريـع بـه مغنـى وأوحـش رفـرف (١)

فعمود البيت كناية عن البيت كله وأساسه القائم عليه ماديا ومعنوياً فالبيت قد تهدم بموتها.

*وقد استخدم الصورة الكلية فى مواقف عديدة خاصة فى المشهد الذى رسم فيه ذكرياته معها فتضمن هذا المشهد صوراً كلية مكتملة العناصر والأجزاء من ذلك قوله:

كنـا بعـيش مونـق الـ مظهـر غـض المخبـر
تضـمنا أمـك فـى هالـة بـدر نيـر
فـى نسـق منضـد ومنـزل مطهـر
حتى هوت كاشمس فى مغـرب يـوم أغبـر
تغيـر الـدهر بنـا والـدهر ذو تغيـر
يـا قطعـة مـن كبـدى تـذكريها واصـبرى(٢)

فهذه صورة كلية تلخص حال الشاعر فى ظلال زوجته وبعدها، نستطيع أن نسميها صورة الماضى والحاضر، وهذه الصورة الكلية تضمنت صوراً جزئية متنوعة منها صورة عيش مونق المظهر، وصورة الأم حين تضم أولادها وهى بينهم كالبدر المنير، وصورتها فى منزلها الطاهر، طهارة حسية ومعنوية، وصورة موتها مردوفة بغروب الشمس، وهى صور جزئية ترسم المشهد الكلى بدقة وبراعة وجمال، وقد استخدم عناصر اللون والحركة، فنرى اللون فى نور القمر، ضوء الشمس، وتتجلى الحركة فى: تضمنا، نسق منضد، هوت... وقد سلط الضوء على عنصر اللون خاصة لأنه يعكس أصداء تجربته التى كانت تتسم بالإشراق ثم أظلمت بموتها.

ومن الصور الكلية التى استخدمها الشاعر قوله :

---

(١) أنات حائرة ص ٨٤

(٢) أنات حائرة ص ٢٣.

يـا ليلـة جمعتنـا بعـد طـول نـوى ذكـراك هاجـت لنـا الأشـجان ألوانـا
ذكرت ما كان من عرس جلوت بـه علـــى أكـــرم خلـــق الله إنســـانا
بيضاء هيفاء تحكى الصبح مؤتلقاً والـــروض متســـقا والبـــان ريانـــا
بتنـا تضـــىء ظـلام الليـل نشـوتنا وتســـتثير شـــجون الليـــل نجوانـــا
قالـــت وقلـــت فلـــم تفـــرغ مقالتنـــا إلـــى الصـــباح ولـــم تهـــدأ شـــكوانا
وحولنـا الليـل يطـوى فـى غلائلـه وتحت أعطافـه نشوى ونشـوانا (١)

فهـى صـورة كليـة لمشـهد زوج محـب جمعتـه وزوجـه ليلـة سـعيدة، وتضـمنت هـذه الصورة الكلية صورا جزئية منها صورة : بيضاء تحكى الصبح، الروض تسقاً، البان ريانا، تضىء ظلام الليل، وصوت : قالت وقلنا (يتناجيان)..وقد تضمنت هذه الصورة عناصر تشكيلها كاملة فنرى الصوت فى نجوانا، قالت، قلنا، مقالتنا، شكوانا، وهو يهتم بعنصر الصوت لأنه يستشعر المأساة بفقد حديثها ومناجاتهما، ونرى الحركة فى الروض والبان متسقاً وريانا، وتستثير، وهى حركة باطنية لم تهدأ، وكذلك يطوى تدل على الحركة، أما اللون فيبدو فى بيضاء، الصبح، لون الروض الأخضر الجميل، تضىء، الصباح، وهى كلها صور بارعة رسمت المشهد بقوة وجمال.

*وقد وظف أيضاً الصور المتقابلة فى مثل قوله :

بتنـا تضـــىء ظـلام الليـل نشـوتنا وتســتثير شـجون الليـل نجوانـا (٢)

فالتضاد بين صورة تضىء وبين ظلام الليل كشف عن الجو النفسى العام للشاعر فى القصيدة وهو تقلب الحال بين السعادة والحزن كما ينقلب النور ظلاما، ورغم أن البيت يوضح مشهداً عاما بينهما فى حياة السرور إلا أن الجو النفسى للشاعر جعله حين يتحدث عن أفراح الماضى يتسرب فى وجدانه آلام الحاضر.

ومن الصور المتضادة أيضا فى نفس القصيدة

(١) أنات حائرة ص ١٠٠
(٢) أنات حائرة ص ١٠٠

فإن جنحت إلى السلوان أوسعنى عتباً وضم إلى النيران نيرانا (١)

فبين (السلوان وضم) تضاد يكشف عن تجربة الشاعر وجانب كبير من عاطفته.

وقد استخدم عزيز أباظة الصور المتراسلة وهى قليلة فى شعره، من ذلك قوله:

وأدمعاً فى حنايا القلب ساكبة وقد يدمع القلب دون العين أحيانا(٢)

فالدمع يكون من العين لا من القلب ولكنه عبر عن مأساته فى صورة متراسلة ليزيد من وقع المأساة، ومن الصور التقليدية عنده قوله:

عليك سلام الله يا أم واثق ووالاك من جدواه هتان يثجم (٣)

فصورة الدعاء بالسقيا ونزول المطر صورة شائعة عند القدماء، ولا معنى لها فى نفس الشاعر الذى يعيش على ضفاف النيل يرتوى بمائه فلم يشعر بآلام العطش أو الحرارة، مثلما كان يشعر القدماء العرب فى صحرائهم القاسية فالماء يمثل لهم الحياة لندرته، أما نحن فلدينا النعمة وافرة ولاشك أن إحساسه بالسقيا غير إحساس العربى القديم، مما يدل على سطحية صورته واتباعيتها.

ثانيا : د/ رجب البيومى

اعتمد د/بيومى على الصور البيانية فى التصوير الشعر فى قصائده، فبدا شاعراً تقليدياً يدرك أن الصورة وسيلة ترجمة المشاعر، وقد استخدم التشبيه الذى يقوم على ترجمة المشاعر والأحاسيس المعنوية فى صورة مادية مدركة للتصور العقلى البسيط للإنسان، وقد كانت أكثر التشبيهات ظهوراً عند د/ بيومى تصوير حالته عند موتها موظفاً عناصر الطبيعة التى تدل على الدمار، فيقول :

كسقطة الصاعقة المدمرة

كرجفة الزلزلة المزمجرة

(١) أنات حائرة ص ١٠٣

(٢) أنات حائرة ص ١٠٣

(٣) أنات حائرة ص ١٠٣

كصـــــرخة القنبلـــــة المتفجـــــرة
قـــد كـــان وقـــع نعيهـــا عليـــا(١)

فهو يستخدم عناصر دمار الطبيعة التى تهلك البلدان ويشبه بها حالته، فمرة يكون الخبر كالصاعقة، وأخرى كالزلزلة وثالثة كالقنبلة وهو يستخدم هذه المدمرات لأن احتمال النجاة من هذه الأشياء المدمرة ضعيف جدا، فقد دمرته تدميراً شديدا وأفقدته كل معانى الحياة، وهذا كله يرسم صورة فداحة الخطب فى نفسه، ثم إنه عمّق الصورة أكثر حين وصف كل كارثة من هذه الكوارث بصفة تأكد على معنى الدمار فالصاعقة مدمرة، والزلزلة مزمجرة، والقنبلة متفجرة، ليضيف بهذه الأوصاف بعداً جديداً فى الصورة.

ويصور فى مشهد آخر حالته عند وقوع الكارثة فيقول :

زوجـاه واكبـدى عليكـى شـقتنى حزنـاً كجـزع شـقه منشـار (٢)

فهذه الصورة تعد امتداداً لصور الدمار النفسى الذى يحاول الشاعر أن يرسمها فى أكثر من موضع فجعل نفسه تقطع فى داخله مثلما يُقطع جذع بمنشار، واختار الجذع لأنه ثابت فى الأرض قوى وهكذا كان الشاعر قويا فى ظلال زوجته ولكن يد الدهر الموت فرقت بينهما مثلما يقطع الجذع القوى المتين.

ويصف مأساته بالعاصفة فيقول :

وأن كيـانى سـوف ينهـار طـائراً كما فعلت هوج العواصف بالذر (٣)

فنفسه أصبحت فى مهب الريح كعاصفة تذرو التراب.

وقد ابدع د/ بيومى حين جمع بين التشبيه والتجسيد وحركية الصورة فى قوله :

كـأن ارتفـاع الحلـق بـالآه مديـة مدببـة حمـراء توغـل فـى نحـرى (٤)

---

(١) حصاد الدمع ص ١٢
(٢) حصاد الدمع ص ٢٠
(٣) حصاد الدمع ص ٤٥
(٤) حصاد الدمع ص ٤٣

فقد جعل كلمة :(آه) محسدة فى شكل مدية تقطع فى حلقه ثم إنه جعلها مدببة ولونها أحمر وكل هذا يرسم قسوة الألم ويثير فى النفس الفزع، كما استخدم عنصر اللون فى حمراء استخدم عنصر الحركة فى ارتفاع وفى توغل، وهذا يؤكد بشاعة المشهد، مما جعل الصورة فى غاية الجمال.

ومن الصور التى تصور ألمه قوله :

تشـــب كـــالتنور ذكريـــاتى صـــاهرة بوقـــدها حيـــاتى (١)

ورغم أنه شبه اشتعال الألم فى نفسه عند استرجاعه الذكريات بالتنور، إلا أن هذا التشبيه لا يتفق مع حالته النفسية فالذكريات ممتعة جميلة بينهما فمن الطبيعى أن تسكن روحه حين يسترجعها لا أن تثور نفسه، ومن صور التشبيه حول هذا المعنى أنه جعل عيناه تبكى عليها كالغمام، فيقول :

هنا نقطة سمحاء كم بعثت أسى تلظى ودمعا كالغمام يصوب (٢)

وجعل حياته بعدها ضبابا فيقول :

أخـال أمـوراً كالضـباب تكاثفـت ومن لى إن تجلى وهن غيوب (٣)

وقد جمع بينه وبينها فى صورة تشبيهية جميلة فى قوله :

وكنـا كغصـنين اسـتتما حلاهمـا على رونق يسبيك فى الأغصن الملد
فـأفرد هـذا الغصـن عـن ذاك قـاطع فيـا مـن رأى فـرداً يحـن إلـى فـرد (٤)

ويكمن جمال هذا التشبيه فى أنه جمع بينه وبينها فى مشبه واحد ولم يقف بالتشبيه عند هذا الحد وإنما استتبع هذه الصورة بما يكشف عن ألمه لفراقها.

*أما عن الاستعارة فهى قليلة جدا فى شعره واعتمد على عنصر التجسيد فيقول: **وحسرتى تأكل فى فؤادى** (٥)

---

(١) حصاد الدمع ص ١٥
(٢) حصاد الدمع ص ٦٣
(٣) حصاد الدمع ص ٦٣
(٤) حصاد الدمع ص ٣٧
(٥) حصاد الدمع ص ٦٠

وهو تجسيد ينبع من رؤية ساذجة حيث تترد هذه الجملة فى كلمات العوام، وقد يضيف إلى صورة التشبيه صورة حركية فيقول :

ويـرين الهـم الثقيـل علـى ظهـرى فأســـعى محـــدودبا محنيـــا (١)

فقد جسد الهم فى صورة ملموسة تثقل على ظهر الشاعر فجعلته منحنياً، ولعل من صور التشبيه الطريفة صورة مشاركة التلفاز له مأساته فيقول:

انتحـر المسـكين إذ تباعـــدت ربتـــه (٢)

أما عن الكناية فقد استخدمها الشاعر كرمز للتعبير عن صورة ما من ذلك قوله يخاطب الموت :

دع عنـك ناضـرة الغصـون تظلنـا وخـــذ الـــذوابل إنهـــن كثـــار (٣)

فناضرة الغصون صورة كنائية ترمز لجمالها، وكلمة تظلنا تدل على عطفها وحنانها، ومن ذلك أيضاً قوله :

يـا أخـت نيـرة السـماء وضـاءة هـل للكواكـب فـى التـراب مـدار؟ (٤)

فهو يرمز لجمالها بكلمة اخت نيرة السماء يقصد الشمس، وأسلوب الاستفهام أظهر التعجب الذى يكشف عن الألم.

أما الصورة الكلية فقد اعتمد د/ بيومى عليها فى مواقف عديدة من ذلك قوله :

أقـارن بـين الأمـس واليـوم باكيـا لخطـب ترامـى بـى مـن الضـد للضـد
فـأين بهـاء الأمسـيات رقيقـة؟ تـأرج بـالنعمى وتنضـر بـالود
تـلألأ فـى عينـى بهيجـاً رواؤهـا كمـا لألأ الطـل النثيـر علـى الـورد
حنـان يحيـل البـرد دفئـا محببـا فلسـنا بـه نحتـاج فـى البـرد للوقـد
يشـيع الرضـا فيـه فيغنـى قليلنـا ونحيا مع الإقلال فى عيشة رغد(٥)

(١) حصاد الدمع ص ٦٣
(٢) حصاد الدمع ص ٦٩
(٣) حصاد الدمع ص ١٦
(٤) حصاد الدمع ص ٢١
(٥) حصاد الدمع ص ٣٥

فالصورة ترسم الماضى فى مقابلة الحاضر ولكنه سلط الضوء على جمال الماضى الماضى فنرى صوراً جزئية ترسم هذه السعادة، الأمسيات رقيقة، تأرج بالنعمى، وتنضر بالود، تلألأ، بهيجاً رواؤها، لألأ الطل، يشيع الرضا، يحيل البرد دفئا، النثير على الورد، وهى صور ترسم المشهد بدقة وبراعة، وقد استخدم عناصر اللون فى قوله : تنضر، تلألأ، لألأ الطل، يشيع، الوقد.. وهو أهم العناصر ظهوراً فى هذه الصورة الكلية حيث أنه يساعد فى رسم صورة الإشراق التى كانت عليها حياته فى ظلال زوجه.

ومن الصور الكلية المصغرة أبياته التى يصور فيها حالته النفسية بعد مرور عام يقول:

عام مضى فحت به الآلام

أفاعياً نيوبها سمام

أتنقضى كمثله الأعوام؟

والموج عات يدهم السفينة

ألم تكونى نفحة العبير؟
هبت من الفردوس فى الهجير
سرت فأحيت هامد الشعور
ثم مضت فى سفر ظعينة
أتسفر الشمس مع الصباح؟
باهرة فضية الوشاح
مدلة بسحرها اللماح
وأنت ما بين الثرى دفينة[1]

فهذه صورة كلية رائعة اعتمد فيها الشاعر على صور جزئية غاية فى الروعة مثل صورة (فحت) من الفحيح صوت الأفاعى، وصورة أفاعيا نيوبها وصورة الموج عات يدهم السفينة كلها صور معبرة رائعة، وقد اختار هذه الصورة الجزئية لتكشف عن بشاعة هذه

(١) حصاد الدمع ص ٤٠

الأحداث على نفسه وصورة (فحت) صورة تكشف عن مصيره بعد وفاتها، وجاءت صورة فحيح لتعمق الصورة وتدل على بشاعتها ومصيرها.

وقد استخدم فى الصورة الصوت فى قوله : فحت..وصوت الموج عات، واستخدم أيضاً الحركة فى حركة الأفاعى وحركة الموج، وعنصرى الصوت الحركة متداخلان فينبعان من نفس الصور ذاتها مما يدل على أن الشاعر يعمق الصورة ويجعلها متنوعة الدلالة، أما صورة نفحة العبير فهى صورة مشرقة متلألأة، ولكنه ختمها ختاما يكمل البعد العام فى القصيدة، وهو المصير المؤلم لزوجته، واستخدم صوراً جزئية فى قوله نفحة العبير، وصورة (هبت) وتحديده لمكان الهبوب من الفردوس إلى الهجير يكشف مدى ما تمثله هذه الزوجة فى حياته وقد صارت توقظ له هامد الشعور، ثم صورة مضت فى سفر.. وهى صورة تمثل احتدام الأزمة فى نفسه، وقد استخدم عناصر التصوير متمثلة فى الحركة فى هبت، سرت، هامد، مضت، سفر، وهى كلها عناصر تعكس احتدام الأزمة الحركية فى نفسه.

ومن الصور فى شعر الرثاء عند د/ بيومى الصورة المتضادة من مثل قوله:

الصبح يرسل ظلمة تترى(١)

فالصبح يعنى الإشراق والحياة والنور، ثم يقابل هذه الصورة بصورة مضادة فى قوله ظلمة، وهو يقصد من هذا التضاد أن الحياة انقلبت وتبدلت بعد وفاتها.

(١) حصاد الدمع ص ٥١

ثالثاً : بين الشاعرين

الصورة بين الشاعرين متقاربة أشد التقارب وليس بينهما اختلاف كبير، فكلاهما تقليدى فى الصورة لا يستخدمان الصور الرمزية الغامضة التى نراها عند الشعراء المحدثين، وإنما يعتمدان على التصوير البيانى التقليدى وأغلبه صورة التشبيه باعتباره أهم الوسائل فى التقريب بين عنصري الصورة حين يحاول الشاعر أن يُوجد علاقة قريبة، صوتية أو حركية أو ضوئية (اللون) وكلا شاعرينا كانا يحاولان أن ينقلا الصورة بهذا الشكل التقريبى لذهن القارئ، ولكن د/ بيومى أغلب صوره تقوم على تصوير الفجيعة بموتها، أما عزيز أباظة فصوره تدور حول الحديث عن أيام أنسه بها.

كما كانت صور د/ بيومى تتسم بالامتداد وتتبع الصورة، فهو يحاول أن يعرض الصورة متكاملة المعنى وكأنه يستقصى أفكاره وشعوره ليبثها فى الصورة أما عزيز أباظة فقد كان أكثر اقتضابا وإيجازاً فى صوره.

كلاهما أهمل الصور المتراسلة وحتى ما جاء منها عند عزيز أباظة كان متأثراً فيه بالشعر القديم وهى صورة القلب يدمع قبل العين أحيانا، فضلاً عن كلمة أحيانا التى قللت من عمق الصورة، أما د/ بيومى فليس لهذه الصور أثر فى شعره.

وبعد فكلا شاعرينا ينسج صوره فى إطار المذهب الشعرى المحافظ التى يجعل شعر القدماء نبراساً له.

المبحث السادس

الموسيقى الشعرية

الموسيقى الشعرية عنصر مهم من عناصر التشكيل الفنى للقصيدة الشعرية، ولها دور بارز فى التأثير . بقدراتها الإيقاعية . على النفس وترجمة المشاعر وقد أدرك النقاد القدامى هذه القيمة الفنية يقول ابن عبد ربه :" زعمت الفلاسفة أن النغم فضل بقى من المنطق لم يقدر اللسان على استخراجه فاستخرجته الطبيعة بالألحان على الترجيع لا على التقطيع، فلما ظهر عشقته النفس، وحن إليه الروح " (١)

ومعنى هذا أن إمكانات الموسيقى لا تقف عند حدود لغة بعينها وإنما تستطيع الألحان أن ترسم صورة يدركها الإنسان مهما اختلفت اللغة، وإذا كانت المشاعر مادة ذهنية عامضة معقدة تنقل الكلمات والصور جزءاً منها فإن الموسيقى تمثل الكشف عن هذا الغموض والإبهام فى المشاعر فالموسيقى تساعد فى " الترجمة للمشاعر بصورة تضاف إلى الكلمات والصور، وقد دارت معركة قوية فى العصر الحديث حول الموسيقى بين التقليد والتحرر وهو قضية جدلية كبيرة " (٢)

والموسيقى عند شاعرينا تقليدية تقوم على عمودية القصيدة واتباع نظام البحور الشعرية والقافية الموحدة، ولم يخرجا عن هذا النظام إلا كما خرج القدماء فى نظام المثنيات والمربعات والمخمسات . وهذا عند د /بيومى فقط . أو تنوع القافية بين مقاطع القصيدة، وهذا لا يعد تطويراً أو خروجاً عن النظام القديم.

والموسيقى الشعرية نوعان : النوع الأول الموسيقى الخارجية وهى موسيقى الوزن والقافية، وهى الشكل الموسيقى البين الظاهر فى القصيدة، وظهور أشكال متحررة وخارجة عن هذا النمط القديم من خلال شعر التفعيلة الذى يتحرر جزئياً من عدد التفاعيل، أو يتحرر تماما من كل ما يتصل بالشكل العمودى كما هو الحال فى قصيدة النثر، كل ذلك أدى إلى صراع حول الموسيقى وطبيعتها.

---

(١) العقد الفريد لابن عبد ربه ١٧٧/٣ تحقيق /أحمد أمين ،أحمد الزين ،إبراهيم الإبيارى ،طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة سنة ٢٠٠٤م

(٢) يراجع : دراسات أدبية د/ أحمد هيكل ص ٧٥ طبعة دار المعارف الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م

النوع الثانى : الموسيقى الداخلية وهى الإيقاع النغمى الذى ينبع من تناغم الكلمات وتكاتفها وانسجامها أو تقابلها فى بعض الأحيان أو ما تتضمنه من إيقاعات ذات إيحاء من خلال حسن التقسيم وحروف المد والتشديد، أو عن طريق التصريع والتقفية.

وسوف يتناول البحث الموسيقى الداخلية والخارجية عند شاعرينا.

أولاً : عزيز أباظة.

أ / الموسيقى الخارجية

الموسيقى الخارجية المتمثلة فى الوزن والقافية هى الأساس الموسيقى عند عزيز أباظة، فقد وظف البحور الشعرية القديمة فى تجربته وكان أكثرها البحور التامة، وفيما يلى بياناً يوضح نسبة البحور وعدد القصائد من كل بحر فى شعره :

١ . البحور التامة.

م	البحر	عدد القصائد	نسبة وروده فى الديوان
١	بحر الطويل	سبع قصائد	% ٣٣.٣
٢	بحر الكامل	أربع قصائد	% ١٩.٠٤
٣	بحر الخفيف	ثلاث قصائد	% ١٤.٢
٤	بحر البسيط	قصيدتان	% ٩.٥
٥	بحر المتقارب	قصيدتان	% ٩.٥
٦	بحر الرمل	قصيدتان	% ٩.٥
٧	بحر الوافر	قصيدة واحدة	% ٤.٨

مجموع القصائد ٢١ قصيدة تامة

ويلاحظ أنه استخدم بحر الطويل أكثر من غيره من البحور، وبحر الطويل بحر شاع استخدامه فى الشعر العربى وله مكانة موسيقية مميزة عند القدماء، حتى إن هناك ثلاث قصائد من المعلقات السبع الجاهلية على بحر الطويل وهذا يكشف عن إيقاع موسيقى أعجب به شاعرنا كما أعجب به القدماء، وبحر الطويل والكامل والخفيف ينالون

منزلة مميزة فى النغم الموسيقى فى الشعر العربى قديمه وحديثه وقد ذهب د إبراهيم أنيس إلى أن بحر الطويل يشيع فى شعر القدماء والكامل شائع فى شعر المحدثين يقول: " على أن بحر الطويل فيما مضى عند الجاهليين أكثر البحور رواجاً فى شعرهم وكان يحتل الصدارة فى قصائدهم، إلا أنه فى العصر الحديث بدأ اتجاه الشعراء نحو بحر الكامل بدلاً من الطويل " (١)

وإن كانت هذه ظاهرة لاحظها د/ إبراهيم أنيس إلا أن شاعرنا استخدم بحر الطويل أكثر من الكامل والخفيف وهذا يدل على نزعته التقليدية فى الموسيقى الشعرية.

وقد أهمل بعض البحور وهى البحور التى قل وندر استعمالها فى الشعر القديم مثل المقتضب والمجتث والمضارع والمنسرح... مما يؤكد اتباعيته للنظام الموسيقى القديم، وأن موهبته الشعرية تكونت بالاطلاع على شعر القدماء ومن ثم التأثر بشعرهم وموسيقاهم.

٢ . البحور المجزوءة

لم يستخدم عزيز أباظة إلا بحرين هما مجزوء الكامل ومجزوء الرمل ولم ينظم على كل بحر منهما إلا قصيدة واحدة، والسبب فى قلتها أن هذه البحور أكثر انسجاماً معا الغناء والنغم، والغرض الشعرى هنا . الرثاء . لا يتناسب مع هذا الإيقاع الموسيقى الذى يحتاج إلى الأنين والبكاء والشكوى، وهذا يدل على فهمه الواعى لطبيعة الإيقاع النغمى ومناسبته للتجربة والعاطفة.

*أما عن علاقة الأوزان بالغرض الشعرى أشار بعض النقاد إلى وجود علاقة بين الغرض الشعرى والوزن وأنكر بعضهم هذه العلاقة، (٢) وأيا ما كان الأمر فعلاقة الغرض بالوزن واضحة تمام الوضوح عند عزيز أباظة، فقد استخدم البحور التامة التى تتسع للتعبير عن الآلام والأحزان التى يحسها الشاعر، وهذه المعانى والعواطف تحتاج إلى إتساع فى النغم والإيقاع يناسبها، وحين استخدم البحور المجزوءة كان استخدامه قليلا فقد اقتصر على قصيدتين فقط، الأولى بعنوان لا تنسى أباك، وهى من مجزوء الرمل والثانية قصيدة تذكريها واصبرى، وهى من محزوء الكامل، وهى مقطوعة سريعة فيها تسلية لأبنائه ويدعوهم للصبر، وإيقاع هذا البحر المجزوء يتناسب مع فكرة القصيدة لذلك فقد جاءت

(١) موسيقى الشعر د/ ابراهيم أنيس ص ٢٠٨ مطبعة الأنجلو الطبعة السادسة سنة ١٩٨٨م

(٢) يراجع : الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية د عز الدين إسماعيل ص ٥٤

هذه المقطوعات تحت عنوان يجمعها كلها بعنوان توقيعات مما يدل على أنها مجرد خطرات سريعة تتناسب مع البحور المجزوءة، وهكذا استطاع عزيز أباظة أن يلائم بين الغرض الشعرى والموضوع بصورة جيدة.

ب / الموسيقى الداخلية

أما عن الموسيقى الداخلية عند عزيز أباظة فقد تجلت بوضوح فى التصريع فى قوله من بحر الكامل فى مطلع قصيدته أشجان رمضان :

ألفيتنــى مـذ جئـت نضـو شـجون وشــهدت واصـب لـوعتى وأنينــى(١)

فالتفعيلة الأخيرة من الشطر الأول مقطوعة. حذف ساكن الوتد المجموع من متفاعلن ///هـ //هـ لتصبح متفاعل ///هـ/هـ (و شجونِ). لتتفق مع تفعيلة القافية (الضرب) وزنا وقافية على خلاف باقى أبيات القصيدة التى جاءت تفعيلة أعاريضها صحيحة، من هنا اتفقت عروض وضرب البيت الأول وزنا وقافية على خلاف الأصل وهذا ما يسمى تصريعا وأعطى لونا موسيقياً جميلاً، ومثل هذا كثير فى قصائد ديوان الشاعر.

أما عن التقفية وهى اتفاق الوزن والقافية بين العروض والضرب للبيت الأول مع اتفاق عروض البيت الأول لأعاريض أبيات القصيدة كلها فى الوزن، من ذلك قوله فى مطلع قصيدته على قبر أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها، من بحر الكامل أيضا :

هــذا الجــلال لــه وهــذا الرونــق وهـو المسـوى بالصـعيد الملصـق(٢)

فالعروض والضرب صحيحان وهكذا باقى أبيات القصيدة فى العروض والضرب ولكنها اتفقا فى القافية، ومما تجدر الإشارة إليه أن عزيز أباظة أهمل التصريع والتقفية فى بعض قصائد ديوانه.

ومن مظاهر الموسيقى الداخلية اتفاق الإيقاع مع الكلمات فنهاية كل تفعيلة فى البيت نهاية كلمة مما يجعل الايقاع واضحاً ومحدداً من ذلك قوله :

حتـى هـوت كالشـمس فـى مغـــرب يـــوم أغبـــر(٣)

(١) أنات حائرة ص ٥١
(٢) أنات حائرة ص ٧٢
(٣) أنات حائرة ص ٢٣

ومن الموسيقى الداخلية الطباق فى قوله :

إذا ســكب الصــباح فأنــت همــى وإن وقــب المســاء فأنــت أنســى(١)

ومنه أيضاً إيقاع التشديد فى قوله :

تـألق وجــه الكـون مـذ يـوم بعثــه بمــا جــاء يلقيــه لــه ويســوق(٢)

والمد فى قوله :

إلفــان مؤتلفــان نامــت عنهمــا غيــرُ الزمــان وهــن غيــر نيــام(٣)

وتجدر الإشارة إلى أن عزيز أباظة ظهرت عنده الأبيات المدورة أو المدمجة . تداخل كلمات شطرى البيت . فى شعره من ذلك قوله :

وأشــارت لطفلــة تشــهد الهــول (م) **بقلــــب دام وجفـــــن غريـــــق**
قالــت ارع الأولاد وابـق كمـا كنـت (م) **مثـــال الأب المحـــب الرفيـــق** (٤)

أما عن القافية فقد استخدم أحد عشر حرفاً كان أظهرها حرف الميم والنون والقاف، كما تنوعت القوافى فى المقطعات ولكن كل مقطوعة تكاد تمثل قصيدة بمفردها، مما يدل على تمسكه بالقافية الموحدة واستخدم كذلك الردف بالألف وبالتعاقب بين الواو والياء، كما استخدم القافية المؤسسة مما يؤكد تنوع الأداء الموسيقى للقافية عنده وقدرته على تطويع النظام القديم لموضوعه.

ثانياً :د/ رجب البيومى

أ/ الموسيقى الخارجية

---

(١) أنات حائرة ص ٤٢
(٢) أنات حائرة ص ٢٦
(٣) أنات حائرة ص ٣٣
(٤) أنات حائرة ص٣٩.

تنوعت القصائد عند د/ بيومى بين البحور التامة والمجزوءة، والجدول التالى يوضح استخدامه للبحور التامة :

م	البحر	عدد القصائد	نسبة وروده فى الديوان
١	بحر الطويل	عشرة قصائد	٤٥.٤ %
٢	بحر الخفيف	أربع قصائد	١٨.١ %
٣	بحر الكامل	ثلاث قصائد	١٣.٦ %
٤	بحر المتقارب	قصيدتان	٩ %
٥	بحر الرجز	قصيدتان	٩ %
٦	بحر الرمل	قصيدة واحدة	٤.٦ %

ومجموع القصائد التامة ٢٢ قصيدة.

فقد استخدم ستة بحور مشهورة ومتكررة فى الإبداع الشعرى العربى القديم وقد جاء بحر الطويل فى قائمة بحور عزيز أباظة، كذلك استخدمه د/ بيومى ولكن نسبة ورده عنده أكثر من نسبة وروده عند عزيز أباظة كما استخدم د/ بيومى بحر الخفيف فى المرتبة الثانية والكامل فى الثالثة بينما كان عزيز أباظة مقدما لبحر الكامل، ولم يستخدم د/ بيومى بحوراً شائعة فى الشعر العربى مثل بحر البسيط والوافر والهزج، كما استخدم بحر الرجز بخفته الموسيقية فى قصائد المربعات الشعرية فجعل المربعة الواحدة أربع شطرات الثلاثة الأولى قافيتها موحدة والشطر الرابع له قافية تتحد مع باقى المقطوعات وهو نظام تطويرى قديم فى القافية فحسب.

أما عن البحور المجزوءة فله قصيدة بعنوان التلفزيون وهى من مجزوء الكامل والإيقاع فيها مناسب للتجربة التى تتسم بالخفة والسرعة والطرافة، وأخرى بعنوان الموت يتكلم، وتتسم بامتزاج شطرى البيت فجميع أبيات القصيدة مدورة فرغم أنه بحر مجزوء إلا أنه يتسم باستيعاب الفكرة من خلال تداخل الأبيات التى جاءت أشبه بالحكم والتأملات

الفلسفية، وهذا يدلنا على مدى قدرة الشاعر لتطويع الوزن للفكرة لكى يكون عاملاً من عوامل الجمال الفنى.

ب / الموسيقى الداخلية

أما عن الموسيقى الداخلية فتتمثل فى التصريع فى قصيدته أكباد أطفالى من الكامل فقد قَطَع العروض ليناسب الضرب:

أكبـــاد أطفـــالى دهتـــك النـــار أيعيش فى لهب الجحيم صغار (١)

ومنه أيضا مطلع قصيدته مصرع الشمس من الطويل :

بكيت عليها أم بكيت على نفسى كلا الجانبين استغرق الجهد من بؤسى(٢)

فعروض الطويل دائما مقبوضة ولكنه أتى بها هنا صحيحة على خلاف الأصل وهذا هو التصريع.

ومن الموسيقى الداخلية أيضا التقفية فى قصيدته بأى اتجاه يقول فى مطلعها :

بـــأى اتجـــاه اســـتحث القوافيـــا أصـوغ نسـيبى أم أعيـد بكائيـا (٣)

وهى من الطويل والعروض مقبوضة على الأصل فى بحر الطويل والقافية متفقة بين الشطرين.

وقد كان من ملامح الجمال الموسيقى عنده قدرته على اتفاق الكلمات مع إيقاع الوزن الشعرى من ذلك قوله :

قـد اعتـاد أن يلقـى المنايـا كأنهـا ظواهر كون كالصباح وكالظهر (٤)

ومن الموسيقى الداخلية عنده الطباق قى قوله :

---

(١) حصاد الدمع ص ١٦
(٢) حصاد الدمع ص ٣٠
(٣) حصاد الدمع ص ١٠٦
(٤) حصاد الدمع ص ٤٥

حنــان يحيــل البــرد دفئــاً محببــا فلسنا به نحتاج فى البرد للوقد (١)

كما استخدم التشديد والمد فى بعض الكلمات لرسم الموسيقى الداخلية فى قوله :

واجتنبــت الهتــاف باســمك فــيهم وأنــا فــى هــواك صــبّ قتيــل (٢)

أما عن القافية فقد كان أكثر الحروف عنده هى الراء واللام والدال والنون وهى حروف كثر استعمالها فى الشعر العربى قافية، وقد استخدم أيضا القافية المرسلة ولكن فى نظام موسيقى المربعات.

ثالثاً : بين الشاعرين

كلا الشاعرين تقليدى فى موسيقاه واعتمدا على البحور القديمة وبينهما ملامح اتفاق كثيرة مصدرها وحدة الثقافة التى شكلت شاعريتهما فالموسيقى بينهما متشابهة إلى حد بعيد، وليس هناك اختلاف بينهما إلا فى كثرة الأبيات المدورة عند عزيز أباظه وقلتها عند د /بيومى اللهم إلا فى قصيدته الموت يتكلم التى دمج الشطر الأول فى الشطر الثانى فى كل القصيدة.

(١) حصاد الدمع ص ٣٥

(٢) حصاد الدمع ص ٨١

خاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله وأصحابه أجمعين

فبعد دراسة ديوانى أنات حائرة وحصاد الدمع للشاعرين عزيز أباظة ومحمد رجب البيومى دراسة موضوعية وفنية تكشف عن عناصر رثاء الزوجة موضوعياً وفنياً ومواطن الاتفاق والاختلاف بينهما يجدر أن نشير إلى أهم النتائج التى توصل إليها البحث فى الدراسة.

١. ربما كان السبب فى قلة شعر الرثاء للزوجة يرجع إلى أن العربى كان يعد بكاءه على وزجته ضعفا يلحق به.
٢. بعض الشعراء لازمت نفوسهم نزعة الحزن بعيداً عن موقف محدد، وإنما نشأت فى نفوسهم نزعة الألم متفقة مع وجدانهم العام، فضلاً عن مؤثرات حياتهم وما مروا به من ظروف.
٣. كان عزيز أباظة يعيش فى ترف من العيش وسعة من الرزق جعلته يرثى زوجه رثاءَ روحيا، لأن زوجه كانت تغمره وتغمر البيت كله بحنانها، فلم يبين أثرها المادى فى حياته ودورها فى تربية أولاده أما د /بيومى فقد بين الفجيعة بموتها ماديا ومعنويا لأنها كانت عماد البيت فى كل أموره وهذا يكشف عن نزعة حسية ومعنوية فى تصوير الألم وهذا فارق جوهرى بينهما.
٤. والملاحظ أن عزيز أباظة لا يندمج فى شعوره مع أولاده ففصل بينه وبينهم فيجعل من مأساة موت زوجه كارثة له، ولم يظهر أثر هذه الكارثة على الأبناء، فلم نر فى تجربته أثر الاندماج بينه وبينهم، أو استبطان أثر هذه المأساة عليهم، وإنما اقتصر على إخبارنا ببكائهم ودعوته لهم بالصبر، أما د بيومى فقد كان مندمجا مع أولاده فى تصوير المأساة ومشاركا لهم مشاركة دقيقة وعبر عن إحساسهم بالمأساة فى صورة واقعية دقيقة راعى فيها تجسيد هذه المأساة فى ثوب يتناسب

مـع عمـرهم، لـذا كانـت أفكـاره حـول هـذا المعنـى تـأتى فـى صـورة دراميـة سـريعة خاطفة.

٥. كـان عزيـز أباظـة سـطحياً فـى فلسـفة المـوت ولـم يتنـاول الموضـوع إلا مـن زاويـة عاطفية تخلو من العمق الفكرى. ولكن د/بيومى كان أعمق فى فهمه للموت وكان أكثر تجسيداً له من عزيز أباظة.

٦. كـان الشـاعرعزيز أباظـة بارعاً فـى المقارنـة بـين الماضـى والحاضـر، فاسـتطاع أن يسلط الضوء على جوانب روحية ونفسية تكشف عن ألم قلبه المكلوم، فكان أكثر عاطفة من د/بيومى الذى كان أكثر مادية، فسلط الضوء على أمور واقعية كانت تجمعهما.

٧. رغم خيالية الأداء الشعرى عند عزيز أباظة إلا أنه لم يوظف موقفاً خيالياً درامياً يكشف عن تجربة خيالية عميقة بجلاف الدكتور بيومى الذى حشد حواراً مع التلفاز امتزج فيه الواقع بالخيال بصورة جيدة.

٨. كلا الشاعرين كان صادق العاطفة وهى عندهما حزينة، ولكن عزيز أباظة تنوعت عنده العواطف بين الحزن والأمل والإيمان والتأمل، أما د /رجب فقد غلبت عليه عاطفة الحزن والتأمل فقط

٩. كـلا الشـاعرين أجـاد إجـادة بالغـة فـى البنـاء الفنـى للقصـيدة ولـم يخـلا بالنظـام العضـوى المتجـانس فيهـا، وهـذا يـدل علـى أننـا أمـام شـاعرين امتـازا بمهـارة الأداء الشعرى.

١٠. لغـة الـدكتور رجـب أشـبه بلغـة الحيـاة اليوميـة فاتسـمت بالسـهولة الفصـيحة، بلـغ بعض الأحيان إلى استخدام كلمات العامة بنصها، أما عزيز أباظة فقد كانت لغته أكثر شاعرية وإيحاء وجمالا.

١١. الصـورة بـين الشـاعرين متقاربـة أشـد التقـارب ولـيس بينهمـا اخـتلاف كبيـر، فكلاهما تقليدى فى الصورة لا يستخدمان الصور الرمزية الغامضة التى نراها عند الشـعراء المحـدثين، وإنمـا يعتمـدان علـى التصـوير البيـانى التقليـدى وأغلبـه صـورة

التشـبيه باعتبـاره أهـم الوسـائل فـى التقريـب بـين عنصـري الصـورة حـين يحـاول الشاعر أن يُوجد علاقة قريبة، صوتيه أو حركية أو ضوئية.

١٢. اتسمت صور د/ بيومى بالامتداد وتتبع الصورة، فهو يحاول أن يعرض الصورة متكاملة المعنى وكأنه يستقصى أفكاره وشعوره ليبثها فى الصورة أما عزيز أباظة فقد كان أكثر اقتضابا وإيجازاً فى صوره.

١٣. كلاهما أهمل الصور المتراسلة وحتى ما جاء منها عند عزيز أباظة كان متأثراً فيه بالشعر القديم وهى صورة القلب يدمع قبل العين أحيانا، فضلاً عن كلمة أحيانا التى قللت من عمق الصورة، أما د/ بيومى فليس لهذه الصور أثر فى شعره.

١٤. كلا الشاعرين تقليدى فى موسيقاه واعتمدا على البحور القديمة وبينهما ملامح اتفاق كثيرة مصدرها وحدة الثقافة التى شكلت شاعريتهما فالموسيقى بينهما متشابهة إلى حد بعيد، وليس هناك اختلاف بينهما إلا فى كثرة الأبيات المدورة عند عزيز أباظه وقلتها عند د /بيومى.

وبعد فأرجو أن يكون البحث قد كشف عن جانب جديد فى موضوع قديم جديد.. وأوضح فروقاٍ جوهرية بين شاعرينا فى رثاء الزوجة.

والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم

إنه نعم المولى ونعم النصير

المصادر والمراجع

١. ابن الرومى حياته من شعره للعقاد مطبعة حجازى القاهرة الطبعة الثالثة سنة ١٣٦٩هـ ١٩٥٠ م
٢. الأسس الجمالية فى النقد العربى عرض وتفسير ومقارنة. د/عز الدين إسماعيل طبعة دار الفكر العربى الطبعة الثالثة سنة ١٩٧٤م
٣. الأعلام للزركلى طبعة دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر مايو ٢٠٠٢م.
٤. أنات حائرة /عزيز أباظة طبعة دار المعارف
٥. البناء الفنى للصورة الأدبية فى الشعر د/ على على صبح الناشر المكتبة الأزهرية للتراث، سنة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م
٦. حركة النقد الحديث والمعاصر فى الشعر العربد/ إبراهيم الحاوى طبعة مؤسسة الرسالة بيروت. الطبعة الأولى سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م
٧. حصاد الدمع د/ محمد رجب البيومى طبعة دار ثقيف الطائف
٨. حول الأديب والواقع د/ عبد المحسن طه بدر طبعة دار المعارف، الطبعة الثالثة
٩. الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون. طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة
١٠. دراسات أدبية د/ أحمد هيكل طبعة دار المعارف الطبعة الأولى سنة ١٩٨٠م
١١. ديوان ابن الرومى تحقيق د/حسين نصار، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ ٢٠٠٢م
١٢. ديوان البارودى تحقيق على الجارم،محمد شفيق معروف القاهرة سنة ١٩٧١م.
١٣. ديوان بشار بن برد، شرح حسين حمودى، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١٦هـ١٩٩٦م
١٤. ديوان جرير تحقيق د/نعمان محمد أمين طه طبعة دار المعارف الطبعة الثالثة.

١٥. ديوان مالك بن الريب المازنى. تحقيق نورى حمودى القيسى منشورات مجلة معهد المخطوطات العربية.
١٦. المضليات للمفضل بن محمد الضبى تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون طبعة دار المعارف الطبعة السابعة
١٧. سقط الزند للمعرى دار صادر بيروت سنة ١٣٧٦هـ ١٩٥٧م.
١٨. الشعر العربى المعاصر قضاياه وظواهرة الفنية والمعنوية د /عز الدين إسماعيل طبعة دار الفكرالعربى الطبعة الثالثة
١٩. الشوقيات أحمد شوقى طبعة دار العودة بيروت سنة ١٩٨٨م
٢٠. ضرورة الفن، تأليف /أرنست فيشر ترجمة أسعد حليم طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨م
٢١. العقد الفريد لابن عبدربه تحقيق /أحمد أمين أحمد الزين إبراهيم الإبيارى، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة.
٢٢. الغربال ميخائيل نعيمة طبعة دار المعارف بمصر سنة ١٩٤٦م
٢٣. معالم النقد الأدبى د/عبد الرحمن عثمان مطبعة المدنىتوزيع دار المعارف سنة ١٩٦٨م
٢٤. موسيقى الشعر د/ ابراهيم أنيس مطبعة الأنجلو الطبعة السادسة سنة ١٩٨٨م
٢٥. نظرية البنائية فى النقد الأدبى د/ صلاح فضل طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب مكتبة الأسرة سنة ٢٠٠٣م
٢٦. النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال دار نهضة مصر للطباعة
٢٧. مقال بعنوان: دواوين رثاء الزوجات قراءة فى الظاهرة د/ أحمد الجدع وهو منشور على شبكة المعلومات الدولية (الأنترنت)
بعنوان:http//www.odabasham.not/shp?sid=z8163

المحتويات

الموضـــــــــوع	الصفحة
مقدمة	٣٤٥
تمهيد	٣٤٧
الفصـل الأول:رثـاء الزوجـة بـين عزيـز أباظـة ورجـب البيومى(رؤيـة موضوعية)	٣٥٢
المبحث الأول :التفجع والبكاء والأنين	٣٥٣
المبحث الثانى :فجيعة الأبناء بموت الأم	٣٦٤
المبحث الثالث :الموت والحكمة	٣٧١
المبحث الرابع :بين الماضى والحاضر	٣٨٢
المبحث الخامس :الزوجة بين الذكرى والنسيان	٣٩١
المبحث السادس :المراثى الغزلية	٣٩٨
ما انفرد به عزيز أباظة.	٤١٠
الفصل الأول:رثاء الزوجة بين عزيز أباظة ورجب البيومى(رؤية فنية)	٤١٤
المبحث الأول :التجربة الشعرية	٤١٥
المبحث الثانى :العاطفة	٤٢٨
المبحث الثالث :بناء القصيدة	٤٣٣
المبحث الرابع :المعجم الشعرى	٤٣٩
المبحث الخامس :الصورة الشعرية	٤٥٥
المبحث السادس :الموسيقى الشعرية	٤٧٠
الخاتمة	٤٧٨
المصادر والمراجع	٤٨١
المحتويات	٤٨٣